

فاروق جويده

قالت

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

قالت ...

اهداءات ٢٠٠٠
دار غريب للنشر والتوزيع
القاهرة

قالت...

فاروق هويده

دار شريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة

الطابع ١٢ في لوبار لافوسلى تـ ٣٥٤٢٠٧٩

١ في كامل مدخل النجالة تـ ٩٠٢١٠٧
المكتب } ٣ في كامل مدخل النجالة تـ ٩١٧٩٥٩

دموع الكلمات ..

جاءت تزورنى بعد سنوات فراق طالـت .. اقتحمت
صمتى .. كسرت كل تلال الأيام التى وقفت بينها وبينى طوال هذه
السنوات ..

لم تسأل عنى مرة واحدة .. ولم أحاول أن أسأل عنها .. ربما
كبرياء رجل .. ربما لأننى لا أريد أن أقتحم حياة اختارتها لنفسها مع
رفيق غـيرى .. ربما لأننى أردت أن أنهى الرواية حسب ما أحب
أنا وليس على طريقة مخرجى الأفلام العربية .. كنت أريد أن أبقـيها
فى نفسى .. كنت أريد أن أجعلها شيئاً فى داخلى .. كنت أريد أن
تظل صورتها بكل ملامح الجمال والدفء والعطاء فيها .

إننا عادة نحاول أن ننسف كل الجسور مع أحبائنا قبل أن
نتركهم . ولكننى كنت حريصاً لا أدري لماذا أن أبقى كل شىء معها
فى داخلى .

وجاءت تزورنى .. تغيرت فيها بعض الأشياء .. لم أحاول أن
أسبح فى ملامح وجهها .. ولكننى توقفت عند منطقة آمنة أحببتها

فيها : نظرت في عينيها . . كانت هناك دمعة مصلوبة . . لا هي سقطت . . ولا هي تراجعت . . ظلت حائرة في عينيها وأنا أنظر نحوها . .

قالت : كيف أحوالك . . ؟

قلت : أعيش لأكتب . . وجدت أن صداقة الكلمة تعوضني عن أشياء كثيرة لا أجدها مع الناس . .

قالت : وما أخبار قلبك . . ؟

قلت : يذكرك كثيراً . .

قالت : متى . . ؟

قلت : في كل وقت أشعر فيه أنني وحدي . . وأنا دائماً الشعور بالوحدة . .

قالت : جئت أودع معك عاماً . . وأستقبل عاماً . . وأقول لك كل سنة وأنت أسعد . .

قلت : كنت أريد أن أقول لك منذ يومين كل سنة وأنت طيبة .
كان عيد ميلادك . .

قالت : أمازلت تذكره . . ؟

قلت : لم أنس أشياء كثيرة معك فكيف أنسى عيد ميلادك .
نسيت فقط جنونك القديم . .

قالت : هل كنت مجنونة .. ؟

قلت : نعم .. كنت مجنونة .. وأنا أيضا كنت أكثر جنونا ..

قالت : حقا .. كنا مجانين يوم أن قررنا أن نفرق ..

قلت : وكيف حالك بعدى .. ؟

قالت : أصبحت أومن أننا نعيش أقدارنا .. لا نعيش حسب

مانحِب .. إننا لا نختار شيئا .. إننا فقط ننفذ خطة

رسمت لنا وعلينا أن نقوم بها ولا نناقشها .. مثل القطار

لا يستطيع أبداً أن يمشى بلا قضبان .. إننى أحبتك ..

لا أدرى كيف .. وأعيش بعيدة عنك ولا أدرى لماذا ..

ولا أعرف ماذا سيحدث غداً .. لقد استرحت بعدك لأننى

لم أعد أتساءل كثيراً ..

قلت : وهل التساؤل جريمة .. إنه أفضل شيء فى الإنسان ..

قالت : لقد حملتنى معك إلى تساؤلات بلا إجابة .. فاحترت

أنت .. وتمزقت أنا ..

قلت : لماذا لا تسألين عنى .. ؟

قالت : لا أنا حبيبة .. وفشلت أن أصبح صديقة لك .. لهذا فضلت

أن أبقى بعيدة .. مازلت أشعر بألم شديد كلما سمعت

أخبارك أو قرأت عنك حتى قصائدك أشعر بنزيفها فى

صدرى ، وكثيراً ما أتوقف ولا أستطيع أن أكمل
القصيدة ..

قلت : هل أراك قريباً .. ؟

قالت : ربما .. لا أستطيع أن أعدك .. شعرت بشوق جارف إليك
كثيراً ما أشعر به .. وضعفت اليوم فقط رغم أننى قاومته
.. سنوات .

قلت : لن تصدقنى .. ولن يصدقنى أحد إذا قلت لك أننى كنت
أفكر فىك فى نفس اللحظة التى وجدتلك فيها أمامى ..

قالت : الحب الحقيقى لا يموت .. يتوارى فى داخلنا .. يشعر
بتجاهلنا له .. ولكنه فجأة يصبح فى داخلنا ..

قلت : نسيت أن أطلب لك فنجاناً من القهوة ..

قالت : ربما نشربه معا بعد أعوام ..

قلت : مازال فىك تفاؤلك القديم ..

قالت : مازلت تقول أنك لن تعيش طويلاً ..

قلت : لم يعد يعنينى العمر .. العمر ليس سنوات نعيشها ..
العمر أشياء تعيش فى داخلنا لأن هناك أشياء لا نذكر منها
شيئاً .. وأنا أعيش معك دائماً ..

ألم أقل لك يوماً :

سوف ألقاك حياة ..

في زمان ميت الأنفاس .. ممسوخ الرفات ..

سوف ألقاك عبيراً ..

بين يأس الناس عذب الأمنيات ..

دائماً أنت بقلبي ..

رغم أن الأرض ماتت ..

رغم أن الحلم مات ..

ربما ألقاك يوماً ..

في دموع الكلمات ..

الحب الطازج

توارى بريق عينيها خلف سحابات الحزن المتدفق على كل ملامح وجهها .. كان الوجه شاحبا .. والعينان سابحتين في تساؤلات كثيرة حائرة ..

سألتهما : هل هذا هو قرارنا الأخير ؟

قالت : لا أجد بديلاً عنه ..

قلت : ولكن الحب أكبر من كل خلافتنا ..

قالت : أحيانا تنقطع الأشياء بين أيدينا ولا ندرى سبباً لذلك .

قلت : فلنحاول مرة أخرى أن نجمع أشلاء هذا الحب الذى يوشك أن يضيع ..

قالت : أنا لا أحب أنصاف الأشياء .. هناك فقط الحب واللاحب ..

قلت : ولكن الأشياء لا يمكن أن تموت بهذه السرعة .. هذا قرار بالإعدام ..

قالت : أحياناً يكون الموت أفضل الحلول ..

قلت : ولكن الحياة مهما كانت .. حياة ..

قالت : ماذا تساوى زهرة ميتة .. وماذا تساوى شجرة لا خضرة فيها .. وماذا يساوى إحساس مات فى داخلنا .. الأفضل أن نواريه التراب وأن نسدل عليه الستار فى أعماقنا ..

قلت : ولكننا ما زلنا معا .. ونستطيع أن نفعل شيئاً قبل أن نسدل هذا الستار ..

قالت : أحب أن أبقيك فى نفسى شيئاً .. أن تظل صورتك القديمة .. أن أراك فى ذاكرتى كما رأيته منذ سنوات بعيدة .. أن يخفق قلبى حينما أسمع اسمك .. أن تلهث أنفاسى كلما عادت أيامك تطل فى رأسى .. أريد أن تبقى حياً فى داخلى ولن أقبل أن تموت وأنت أمامى ..

قلت : أنا لا أكاد أصدقك .. كيف نحب .. ونفترق .. كيف نشتاقل لتعذب .. كيف نحيا .. ونموت ؟ ..

قالت : ما قيمة أن أراك .. ولا أشتاقل .. وما قيمة أن أحب .. وأنا أراك شيئاً غير الذى أحببته .. الفرق بينى وبينك أننى أحب الأمس فىك .. وأنت تحب اليوم .. وأنا أملك أمسى .. ولكننى لا أملك يومى ..

كنت أحبك بالأمس .. أنا صادقة .. ولكننى

لا أضمن أن أحبك اليوم أو غداً .. إننى أحب أن يظل
للأشياء بريقها ..

قلت : وما الفرق بين إحساس الأمس وإحساس اليوم ..
وغداً .. الحب هو الحب سواء كان ماضياً أم حاضراً أم
مستقبلاً ..

قالت : إننى أملك الأمس وحده .. هو جزء من عمرى
وإحساسى .. ولكننى ربما أحب غيرك غداً وتصبح أنت
شيئاً من الذكري ..

قلت : ولكنى لا أرى فى ذلك حباً .. أن تكونى معى بهاضيك ومع
إنسان آخر بحاضرك أو مستقبلك فهذا شئ غريب ..

قالت : لأننى أحب الأشياء الطازجة .. أنا لا أحب أن أكل من
الثلاجة .. وكل تجربة جديدة شئ جديد .. ليس معنى
ذلك أننى نسيت من أحببت ولكن .. لكل وقت
مشاعره ..

قلت : وأنا أودعها .. هذا هو الحب الجديد فى هذا الزمان ،
فالناس تريد الحب الطازج ..



على غير انتظار

أعلم يا حبيبتي أن أحزاننا كثيرة . . وأن رصيد أحلامنا أصبح
قليلاً . .

أعلم أننا نعيش في زمان غريب استباح كل الأشياء . .

أعلم أن زماننا أبخل من أن يمنحنا ساعة صفاء جديدة . .

إننا ما زلنا نتسكع في الطرقات نستجدي زماننا البخيل حلماً
جديداً . . إن سحابات الدخان تطارد أنفاسنا مع مطلع كل
صباح . .

وإن نسائم الربيع الراحل تهفو أحياناً فتذكرنا بعمر مضى وليس
لنا الحق في استرجاعه . .

أعلم أن ليالي الشتاء تحمل معها أحزان أيامنا وما نحن قد ودعنا
عاباً من عمرنا . .

ها هو العام تسرب في خجل من بين أيدينا وأعلن رحيله . . إنه
لن يعود بعد اليوم ولن نراه . .

فتعالى نصافحه . . تعالى نحدق في ملامحه التى لن نراها قبل أن
تغيّب . .

تعالى نحاول أن نستعيد معه بعض تذكاراتنا قبل أن يمضى . .
سوف نجلس ذات يوم ، ربما نجلس معاً . . ربما يجلس كل منا
وحيداً يراجع دفاتر أيامه . .

وسوف نذكر لهذا العام شيئاً رائعاً . . سوف نذكر له أننا تلاقينا
تحت ظلاله . . وأنا ضحكنا فيها وحلمنا معه بعد أن تضاعل رصيد
أحلامنا ، وأنا رأينا فيه شروقاً جميلاً . . وغروباً أجمل . .

لقد أعطانا هذا العام شيئاً من الدفء رغم أن صقيع أيامنا كان
طويلاً . . سوف نذكر لهذا العام أنه أعطانا أشياء كثيرة جاءت على غير
انتظار . . وأجمل الأفراح هى تلك التى تخبىء على غير انتظار . .
وأسوأ الأحزان هى أيضاً تلك التى تخبىء على غير انتظار . .

وعامنا الراحل جاءنا بأشياء جميلة جاءت على غير موعد . .

كانت أحلامنا قد أفلست . . وتوقفت نبضات كثيرة فى أعماقنا . .
وغابت المساحات الخضراء حولنا . . واكتست أيامنا بسحابات تخزين
خائفة . . وأغلقت القلوب أبوابها وأعلن الجميع إغلاق كل نوافذ
الحب فى أوطاننا ، بعد هذا كله جئت أنت لكى نبدأ من جديد فى
تطهير القلوب من أوجاعها وحطام الأيام فيها .

جئنا لنغرس فى شوارعنا الخالية أشجاراً جديدة . . لقد استباح
زماننا رقاب كل الأشجار . . وأصبح الصمت والخوف والوحشة شبحاً
يطاردنا فى كل مكان . .

لكننا عدنا مرة أخرى نرفع راية العصيان أمام الحياة لنعود لأنهارنا
السجينة . . وها هو الأمن يتسلل إلى كهوف أيامنا . .

لست واهماً ولا حالماً ولا مجنوناً يحاول أن يرى الخرائب أشجاراً
أو أن يرى الصحراء أنهاراً . . ولكننى كنت دائماً على يقين أننا نرى
العالم من داخلنا . . وأنها نرى الجمال فى أعماقنا قبل أن نراه على وجوه
الناس . . وأن أعشاب القبح تنبت فى نفوسنا أولاً وتتسلل إلى كل
شئء حولنا . .

إن الإنسان الذى يغرس القبح لا يمكن أبداً أن يكون أرضاً
للجمال . . فالأعشاب لا تنبت الزهور . . والزهور لا تقبل أبداً أن
تعيش بين الأعشاب . .

عام مضى تعالى نعائقه وهيا نصافح أياماً جديدة ونحلم معها
بعالم جديد لا يوجد للقبح فيه مكان . .

آه يا زمن المهانة

قالت : ما الذى يجعلك حزينا .. ؟

قلت : أشعر أننى جئت فى غير زمانى .. كنت أتمنى أن أعيش زماناً آخر ..

قالت : وأى زمان تمنيت أن تعيشه .. ؟

قلت : ليس هناك زمان بعينه تمنيت أن أعيش فيه .. ولكننى أشعر أننا نعيش أحط عصور التاريخ .. لا أعتقد أن هناك فترة فى تاريخنا كله تتشابه مع الزمن الذى نعيشه اليوم .

قالت : ولكن الإنسان هو الذى يصنع زمانه .. فإذا كان زماننا رديئاً فنحن الذين صنعناه ..

قلت : طبيعة الأشياء تقول ذلك .. ولكن الذى حدث غير ذلك تماماً ..

طبيعة الأشياء تقول أن الأجيال تسلم الراية لبعضها البعض .. وأن مسئوليات التاريخ توزع على سنوات الزمن ويصبح لكل جيل

دوره ومشاركاته سلباً وإيجاباً . . ولكن الذى حدث أن هناك جيلاً
أمسك برقبة التاريخ ولم يتركه ولم يتركنا حتى الآن رغم كل ما حدث .
من كوارث . .

إن الممثلين يرفضون أن يتركوا المسرح رغم أن الرواية انتهت
وألقى الجمهور على الممثلين آخر الزجاجات الفارغة . .

قالت : ولكن . . ألا تعتقد أنها مسئوليتنا جميعاً . . مسئولية من قرر
ومن شارك . . ومن نفذ . . ومن وافق . . ومن تجاهل . .
ومن صمت . . ؟

قلت : هذا حق . . ولكن المسئولية تختلف . . لأن من قرر يتحمل
المسئولية المباشرة، ومن صمت يتحمل مسئولية صمته . . وهو
نوع من السلبية وليس نوعاً من المسئولية . .
قالت : ولكن المسئولية علينا جميعاً . .

قلت : فى أحيان كثيرة كان الصمت هو الاعتراض الوحيد . .
قالت : هذا جبن . .

قلت : هو كذلك . .

قالت : ومع الصمت ارتكبت خطايا وأخطاء كثيرة . . إن الصمت
هو أوسع الأبواب التى يدخل منها جبابرة التاريخ . . كلهم
دخلوا من بوابة الصمت . . الصمت هو المعادل الموضوعي

للموت . . لأن الموتى لا يتكلمون . . حتى الحيوانات
تتفاهم وتتجاوز وتتكلم مع بعضها البعض . . وحين يصبح
الصمت هو لغة الأحياء فإنهم يسكنون قبراً كبيراً وإن كانوا
يأكلون ويشربون ويعيشون . .

قلت : ومن قال أننا أحياء . . الموت لا يعنى أن يتوقف قلب
الإنسان . . الموت الحقيقى أن يفقد الإنسان القدرة على أن
يصرخ . .

الموت الحقيقى أن يتساوى صمته مع كلامه . .
الموت الحقيقى أن تتساوى لحظات المجد ولحظات المهانة . . وقد
تساوت والله فى زماننا الكثيب . .
الموت الحقيقى ألا يفرق الإنسان بين موقعه بين السحاب
أو موقعه تحت الأحذية . .
الموت الحقيقى أن تتحول الصفعات إلى قبلات ونفقد قدرتنا على
أن نميز بين الأيدى التى تصافحنا والأيدى التى تصفعنا . .
ألا نفرق بين من يلقون علينا الأزهار والورود ومن يضعون أنوفنا
فى سلة القمامة . .
يا سيدتى نحن نعيش عصر القمامة . .

قالت : أراك متشائماً . .

قلت : فى عصور الانحطاط يصبح من الصعب على الإنسان أن يفرق بين الحلم والوهم .. والحلم ظاهرة صحية ..
والوهم مرض لابد أن نعالج منه فى مستشفيات الأمراض العقلية .. وبما أننا فقدنا الحلم فلا بد أن يكون الوهم هو البديل . وحتى الآن لا أعتقد أننى فعلت شيئاً يدفعنى إلى مستشفى الأمراض العقلية .. هناك من هم أحق منى بذلك ..

قالت : من هؤلاء .. ؟

قلت : الذين ألبسونا أثواب المهانة وهم يعلمون .. والذين باعوا أقدس الأشياء فىنا .. باعوا كرامتنا وشموخنا ونضارة عمرنا .. صدقنى أننى أصبحت أدرك الآن أكثر من أى وقت مضى من هم أعداؤنا الحقيقيون .. لقد تساوت الرءوس والأدوار والمواقف ..

قالت : من هم ؟

قلت : فى أى جهاز مباحث تعملين ؟



وتهون الأرض إلا موضعاً

الأماكن مثل أيام العمر . . نعيش كثيراً ولا يبقى في أعماقنا غير مساحات ضئيلة من الزمن نشعر بيننا وبين أنفسنا بأنها ذات قيمة خاصة وتستحق أن تعيش .

كذلك الأماكن . . يزور الإنسان بلاداً وبلاداً ويرى أوطانا وأوطانا ويتعرف على ملامح كثيرة في بلاد كثيرة ولا يبقى في ذهنه غير أماكن محددة يذكرها ويعود إليها ويسترجعها دائماً مع نفسه . .

ولقد كان شوقي بارعاً حينما قال :

قد يهون العمر إلا ساعة

وتهون الأرض إلا موضعاً

فقد لا يبقى من العمر الطويل غير ساعات قليلة يذكرها الإنسان ويعيش عليها . . وقد لا يبقى من الأرض رغم اتساعها غير قطعة صغيرة في أعماق الإنسان كأنها بعض منه .

والسبب في ذلك كله أن الأشياء عادة تحسب بآثارها . . فليست كل الأحداث في حياة المرء ذات قيمة واحدة . . نساء كثيرات يعبرن في حياة الرجل ولا يبقى في داخله غير امرأة واحدة يشعر أنها كانت غير كل النساء . ربما يذكرها في أشياء صغيرة . . رائحة عطرها كلما عبرت ولو كان العطر يطوف على امرأة أخرى في الطريق أو المصعد أو دار السينما . . قد يذكرها في أغنية بسيطة تعيد لنفسه عمراً لا يستطيع أن يسترجعه . . إنها خيال دائم المطاردة . . إذا هربنا منه واقعاً عاد إلينا وهما . . وإن هربنا منه وهما عاد لنا ذكرى لا نستطيع ولا نحب أن تصبح مثل كل الأشياء العابرة في حياتنا .

والذاكرة هي الشيء الذي فضل الله تعالى به الإنسان على كل مخلوقاته . . الذاكرة هي التي تحفظ الأماكن . . وتسترجع الذكريات وتعيش الأمس حياً نابضاً كأنه اليوم .

ولهذا أحسد كثيراً أصحاب الذكريات الكثيرة . . لا أحسد أبداً أصحاب الأرصدة ولكنني أحسد كل إنسان استطاع أن يعيش عمره حساً وخيلاً . . إن ذلك هو الثراء الحقيقي . وهو الذي يفرق بين إنسان جاء الحياة ومضى في صمت . وإنسان آخر جاء الحياة وعاشها طويلاً وعرضاً . فالبدائية واحدة . . والنهاية أيضاً واحدة . . وما بينهما مجموعة ذكريات قد تتلاشى . . وقد تعيش .

وأصحاب المواهب الكبرى في التاريخ وعظماء الفكر والفن كانوا

أناساً استطاعوا أن يزدوا رصيد ذكرياتهم في الحياة . . ولعل السبب في ذلك أن الفنان إنسان يعيش على رصيد ذكرياته لأنه لا يملك شيئاً غير تجاربه تلك التى تعيد إليه النبض كلما هدا . .

وفى مراحل التراجع الفنى فى حياة كثير من الشعراء والكتاب يتضح لنا أن السبب فى ذلك حالة فقر حادة تصيب ذاكرة الفنان . . فليست فيها أحداث كبيرة تهز مشاعره . . وليست فيها أحلام كبيرة تتعثر حيناً وتنطلق أحياناً . . وليست فيها ذكريات شائخة فى أعماقه . . ولهذا يموت الفنان وهو حى يرزق لأن رصيد تجاربه وحياته يتراجع كل يوم .

من أجل هذا يحاول الإنسان أن يجمع أكبر رصيد ممكن من الأماكن التى يذكرها والأيام التى يقف متحسراً أمامها وهو يتمنى لو كان العمر يعود للوراء . .

فالأماكن ليست مجرد أكوام من التراب نطوف حولها مثل المقابر . . ولكن الأماكن كيان نابض بالإحساس . . إنها تستوعب أعمارنا جميعاً عبر قرون وقرون . .

ولهذا يحتفل العالم كله بالأماكن الهامة فى حياته . . وحياته شعرائه وكتابه وفنانيه . .

فى لندن مقهى عتيق يزوره الناس فى إنجلترا لأن عدداً كبيراً من الكتاب الإنجليز كانوا يكتبون فيه . .

وفي مدينة فرانكفورت مطعم عتيق كان « جيته » يحب أن يكتب فيه ومازال المقعد والمائدة اللتان كان « جيته » يكتب عليهما في جانب من المطعم .

وفي القاهرة تزور كرمة ابن هانىء بيت أمير شعراء العربية « أحمد شوقي » فترى تاريخاً طويلاً شاخاً أمامك . . كلمات شوقي . . وحجرة نومه . . ومكتبته . . ومكتبه .

وفي الهند تجد بيت « طاغور » وقد تحول في مدينة كلكتا إلى جامعة عريقة وفي جزء منها بقايا الرجل . . أقلامه وملابسه وكتبه . . كلها أشياء تحمل عبقراً من شاعر الهند العظيم . .

ويرحل الناس وتبقى الأماكن نذكرنا بأشياء كثيرة ربما نسيناها . . إنها شاهد يدق في آذاننا دائماً وكلما عدنا إليها عادت معها الذكرى . .

دارت كل هذه الأفكار في رأسى وأنا أسمع أغنية سمعتها منذ عشرين عاماً بصوت من أجمل الأصوات التى عبرت في تاريخ الغناء العربى . . كانت الأغنية « يا مسافروناسى هواك » . . وكان الصوت ليل مراد . . وكان المكان ربوة عالية على شاطئ البحر في مدينة مطروح .

محطة بلا قطار

كأننا كنا على موعد . . ربما تأخر اللقاء كثيراً . . عشر سنوات.
مضت يا له من عمر طويل . أمواج من الناس تندفع نحو عربات
القطار المسافر إلى الإسكندرية . منذ مدة طويلة لم أسافر بالقطار رغم
الصدقة القديمة التي تربط بيننا . لكننى كنت على موعد
للإسكندرية لعله تأخر هو الآخر بعض الوقت . وحملت حقيبتى
وأخذت أتزاحم مع المتزاحمين بعد أن أصبحت حياتنا كلها زحاماً فى
زحام ابتداء بطوابير الجمعية للحصول على قطعة جبن وانتهاء بوسائل
المواصلات والتاكسيات حتى عربات الموتى أصبحت تعاني من
مشاكل الزحام . .

كانت هى الأخرى تحاول أن تشق طريقها لكى تأخذ مكاناً فى
القطار ولم أشعر بنفسى وتيارات الناس تدفعنى شمالاً ويميناً . أخطو
خطوة للأمام وسرعان ما أشعر أن هناك من يحاول أن يجذبنى إلى
الخلف . إنها مشكلة . أصبحنا مجتمعاً يمسك دائماً بخناق كل من
يحاول أن يخطو للأمام خطوة : ورغم التزاحم الشديد كنت أشعر أن

عينى قد توقفت عند شىء واحد . صورتها وهى تقترب من باب
القطار ، لعلى لم أرها منذ مدة طويلة . كان آخر لقاء بيننا يوم أن
تصافحنا على أبواب الجامعة يتمنى كل منا للآخر مستقبلاً أفضل .
جمع الحب بيننا أربع سنوات كاملة . . لعل هدوءها كان دائماً يقربنى
إليها . . وكانت تتمتع بشفافية عجيبة وتحب الشعر والموسيقى وكثيراً
ما كانت المناقشات تلتهب بيننا فى حوار حول قصيدة أوراى لكاتب
إنها مشكلة . . لم يعد فى حياتنا الآن ذلك الفكر الذى يسير جديلاً
أويلهب حواراً . .

إنها لم تخدعنى يوم أن صارحتنى بأننا لا يمكن أن نتزوج . فهى
من أسرة غنية وتريد لها زوجاً غنياً . . وأنا شاب جاء من أعماق الريف
لا يملك أكثر من قوت يومه . . والجامعة منبت خصب للأحلام .
نحلم فيها كثيراً . ونحب أكثر ونحملنا مجانبة التعليم من أقاصى
القرى والنجوع لكى تلقى بنا بقسوة داخل الحرم الجامعى بأضوائه
التي يشوبها الكثير من الضجيج . ونتعلم مع دقائق ساعة الجامعة
كيف نحلم ، ولكننا بعد ذلك ندرك الحقيقة وسرعان ما تذوب أحلامنا
فى شوارع الحياة فلا يبقى منها شىء . تترك الحبيبة حبيبها على أول
محطة قطار بعد التخرج من الجامعة لكى تتزوج الإنسان الذى يمنحها
الحياة الهادئة ويوفر لها القدر الأكبر من الاستقرار . والفتاة الشرقية
تحب الزوج « المستريح » وليس للحب المجرد قيمة كبيرة فى حياتنا .

كل هذه الخواطر مرت على ذهني وأنا أراها تقترب من باب
القطار . لم يتغير منها شيء . ما زالت أناقتها وملاحمها الهادئة . . .
واحتفظت برشاقتها . . ولجنتي من بعيد . وكادت تطير مثلي وأخذنا
نقترب في وسط الزحام . .

وجعلنا تيار الزحام إلى داخل القطار . وأخذنا مقعدين
متجاورين . وبدأت تحكي أخبارها وأنا أسمع .

قالت : لقد أصبحت كاتباً مرموقاً إنني أتابع كل ما تكتب .

لم يكن لدى ما أريد أن أقوله غير أن أنظر في بريق
عينيهما . إحساس عميق خاصمني منذ عشر سنوات
مضت . كانت واحدة أيامي إذا اشتد الظمأ . ومهبط
أحلامي إذا تعثرت الخطى .

قلت : ألم يكن من الممكن أن نجتمعنا الأقدار يوم أن فرقتنا . لقد
حققت بعدك الكثير لكنني كنت أشعر أن أهم ما كان يمكن
أن أحققه قد ضاع مني . كان حبك أكبر من كل
أحلامي . . وكنت المعركة التي ندمت كثيراً لأنني
خسرتها . . رغم أنني كسبت بعدها معارك أخرى . .

كان القطار سريعاً - على غير عادته - وهو يندفع بنا نحو
الإسكندرية ومشاعرنا أكبر من كل الكلمات . وأخبار وأحداث كثيرة

نريد أن نحكيها . . وكان الوقت يمضى سريعاً . ودخان سجائري
يملاً المكان . . وأكواب الشاي والقهوة لا تخفى ملامحها من أمامنا .
مدينة طنطا . . تتبعها دمنهور والركاب يتزاحون في النزول والركوب
وأصوات الوداع واللقاء تعبت بآذاننا . وتقاطع أفكارى متسائلة :

هل تأتي إلى الإسكندرية كثيراً رأيتك أكثر من مرة في
التلفزيون ، لم يتغير فيك شيء . أشتري من كل كتاب
يصدر لك نسختين . . واحدة لكى أقرأها والأخرى أحفظ
بها لابنى . . إنه يحب الكتب ولكنه صغير لم يتجاوز عمره
الآن تسع سنوات . أريد أن يكون مثلك كاتباً مفكراً ،
أحلامنا التى لم تتحقق أحاول أن أغرسها فيه . إن زوجى
لا يحب الكتب والثقافة إنه رجل أعمال كبير . له في المال
والأرقام فقط وليس له في الكتب . . وهذه مأساة أغنياء هذه
الأيام .

وتركتها تحكى كل ما تريد ، كنت أريد أن أسمع صوتها يتسلل
داخل أعماقى . وبينما أنا غارق في صوتها بدأت ملامح الإسكندرية
تظهر وأفقت مرة واحدة . لن أتركها تمضى منى هذه المرة . لماذا
لا نجتمع مرة أخرى . . كلانا يحب الآخر . لقد افتقدتها كثيراً . إنها
المعركة الوحيدة التى خسرتها في حياتى ، كانت هذه الأفكار تتوافد في
ذهنى بانسداد جنونى والقطار يهدأ وتتكاثر خطاه رويداً رويداً في

محطة سيدى جابر ، ونظرت نحوى وهى تمسك بحقيبتها وقالت :
شئ عجيب . . ترانا خلقنا لكى نتعذب ، افترقنا منذ عشر
سنوات . والآن يجمعنا القطار لكى نفترق .
واقتربت منها لكى أقول ما يدور فى خاطرى : وقطع لحظة
الصمت صوت غليظ تسرب بيننا . . حمداً لله على السلامة يا هناء .
أهلاً يا محمود . . ونظرت نحوى . . محمود زوجى . . الأستاذ . .
الكاتب المعروف !! . .

هل مات حبنا ؟

سنوات غياب طويلة فرقت بيننا . .
لم أستطع أن أنزعها من نفسى . .
لقد ظلت كما كانت دائماً . . نقطة من نقاط الضوء تسلفت فى
غفلة وأضاءت فى حياتى كل شىء . . ثم رحلت . .
لم أكن محظوظاً يوم أضاءت . .
ولم أكن محظوظاً يوم رحلت . . لقد أضاءت لتترك بعدها صمتاً
وفراغاً . .
ورحلت لتترك بعدها حزناً ووحشة . .
غريبة هذه الحياة . . تجمعنا بوجوه كثيرة تتعدد أشكالها وألوانها
وصفاتها . . ولا نجد أنفسنا إلا فى وجه واحد حتى يخيل إلينا أننا نرى
العالم من خلاله . .
تشابه أماننا كل الوجوه . . وتتوحد أماننا كل الصور ونشعر أن
الضوء لا يصل إلى عيوننا إلا من خلاله .

وأن الدنيا تدور بنا وتدور لكى تحملنا ولوبعد عشرات السنين
لنجد أنفسنا أمام صورة قديمة لا نراها خارجنا لأنها تعيش فى
أعماقنا ..

وجه وحيد نراه .. ونظل نظارده بقية عمرنا .. نحاول أن
نسترجع الأيام ونستعيد الزمن ..

نحاول أن نوقف مسيرة الأشياء والحياة ولا نستطيع .. ولا نملك
شيئاً أمام هذا كله غير أن نجمع أشلاء أيامنا الراحلة ونعيش عليها ..
دارت فى رأسى كل هذه الأشياء وأنا لا أصدق أننى أراها ..
فرقتنا سنوات طويلة .. غيرت فىنا أشياء وبقيت فى داخلنا أشياء ..
تغير العمر والحلم والسعادة .. وبقي الصديق .. إننا لا نحب فقط
صديق الآخرين .. إننا نحب قبله صديقنا مع أنفسنا ..

لقد بقيت فى داخلى شيئاً لا يتغير .. كأنها أغلقت على نفسها باباً
فى أعماقى يوم رحلت ولا يملك أحد غيرها حق الدخول إليه
والاقتراب منه .

ما زال بريق عينيها وإن كانت الأيام قد تركت خلفه بقايا
حزن .. ما زال عطرها الذى أعرفه .. وإن كانت الأيام قد جعلتنى
أكثر اشتياقاً له ولها ..

وما زالت ابتسامتها وشمونها القديم ..

أحياناً نشعر أننا غرباء عن كل الأشياء حولنا .. وأسوأ أنواع

الغربة أن تشعر أنك غريب عن نفسك .. هناك فواصل تتقف بينك وبينها .. هناك سدود تقطع التواصل .. وقد نحب أنفسنا في شخص آخر .. كما نحب عمرنا في أعمار غيرنا ..

إن الغربة ليست ظواهر هجرة أو بعد أو فراق .. فليس كل مهاجر غريباً .. وليس كل غريب من ودع أرضاً أو وطناً .. لأننا قد نصبح غرباء ونحن لم نودع أوطاننا .. وقد نهجر وإن كنا مقيمين .. ما قيمة أن نحب وكل الأشياء حولنا لا تؤمن بالحب .. ما قيمة أن تغنى ولا تجد أحداً يسمعك .. ما قيمة أن نتمسك بالأمانة ونحن نعيش بين اللصوص .. أو نتمسك بالشرف في بيوت السوء .. كل هذه الأشياء تجعلنا دائماً غرباء ..

إننى لا أحب فيك امرأة تسلفت إلى أعماقى يوماً .. وأخذت بعض سنوات عمرى ورحلت .. إننى أحب فيك زماناً واسعاً من الطهر والأمن والصفاء ..

لقد أحببت فيك لحظات صدق لا أستطيع أن أعيشها الآن .. أحببت فيك زماناً من البراءة في غابة متوحشة .. أحببت فيك عمرى وزمنى الذى لن يعود ..

قالت : ماذا بقى منى ؟

قلت : كثير من الحزن .. قليل من الحلم .. وسؤال حائر لم أجا له جواباً .. لماذا افترقنا ؟

- فالت : لأن إحباطات زماننا كانت أقوى من كل نبض مشاعرنا .
- قلت : ولكن الحب أقوى من كل شيء . .
- قالت : هذا كلام الشعراء . . الحب يقتل مثل كل الأشياء . . إذا كنا نقتل الإنسان . . ألا نستطيع أن نقتل الحب ؟
- قلت : الإنسان جسد يرحل . . ولكن الحب مشاعر تبقى .
- قالت : الحب يتنفس مثل كل الأشياء ويختنق أيضاً مثل كل البشر . .
- قلت : ولكنه يعيش في داخلنا . .
- قالت : ويموت أيضاً في داخلنا . . لا نستطيع أن نبقيه ولا نستطيع أن نتخلص منه . . ونموت معه . .
- قلت : هل مات حبنا . . ؟
- تالت : نحن الذين متنا بعده . .

حينما يصبح الشرف غريبا

· قالت : أراك حزينا هذه الأيام ..

قلت : لأن أحوال الزمن لم تعد تناسبني .. أسوأ الأشياء أن نخشى ولا يسمعنا أحد .. وأن نعرض بضاعة لا يشتريها أحد ..

قالت : وماذا تباع الآن .. ؟

قلت : الصدق .. سلعة غير مرغوب فيها على الإطلاق ..

قالت : ولماذا تغنى .. ؟

قلت : أغنى لكى أصنع حلما .. والحلم فى هذه الأيام ممنوع تداوله بين الناس . هناك قرار بحظر/تحويل الأحلام فى أعماقنا ..

قالت : أعتقد أن مشكلة الشعراء أنهم قوم يبالغون فى الأشياء .. يبالغون فى أفراحهم إذا فرحوا .. وفى أحزانهم إذا حزنوا .. المشكلة فيكم أنتم أيها الشعراء وليست فى الناس ..

قلت : المشكلة حقا فى الشعراء .. لأنهم يريدون الصدق فى زمان كاذب .. ويريدون النقاء من الخطيئة ويريدون الجبال من

السفوح . . ويريدون الأمانة من اللصوص . . ويريدون الحق . . وكل شيء حولهم باطل . .

قالت : ألا يكفيكم ما أنتم فيه . . الشهرة . . والمجد . . والحب . . ماذا تريدون أكثر من هذا . . ؟

قلت : لا نريد المجد ولا نريد الشهرة ولا نريد الحب . . كل الذي نريده إنسان يدرك معنى الصدق والترفع والفضيلة . . إنسان يفرق بين الحق والضلال وبين اللصوص والشرفاء وبين صناع الفضيلة وقطاع الطرق . . نريد بشرا نعيش معهم . . وهذا زمان قطاع الطرق . .

قالت : في الحياة دائما الأبيض والأسود . . ومتى كانت الحياة كاملة في كل شيء . . حتى الأنبياء لم يسلموا من شرور الحياة سواء كان ذلك كذباً أو ضلالاً أو عقوقاً . .

قلت : كان في الحياة الأبيض والأسود . . ولكن الناس كانت تميز بين هذا وذاك . .

كان الحق والباطل . . والناس تعرف الفرق بين هذا وذاك . .

كان قطاع الطرق أفراداً . . والشرفاء بالملايين ولكن أسوأ الأشياء أن يصبح النهار ساعة والليل أياماً طويلة . .

وأن يصبح الشريف غريباً . . والأمين منبوذاً . . وقطاع الطرق في كل مكان ، إذا لم نستطع أن نغير الحياة . . فلا أقل من أن

نحاول .. يجب ألا نفقد قدرتنا على شرف المحاولة .. وإذا
فشلنا .. فيجب أن نعيشها كما نريد وليس كما يراى لنا ..

قالت : وكيف ستعيش حياتك .. ؟

قلت : ألا أفرط فى صدقى .. وألا أفقد إيمانى بأن الأعشاب لن
تصبح أبداً أشجار نخيل .. وأن قطاع الطرق لن يصيروا
أنبياء .. وأن التمسك بالفضيلة فى زمن الرذيلة .. هو
أعظم الأشياء ..



عودة المتمرّد القديم

قلبي يحاورني كثيرا .. ولذلك نختلف ..
وتجاربنا ومحاوراتنا تؤكد رأيي فيه دائماً .. وتؤكد موقفه مني .
فنحن على خلاف وإن ظهر في تصرفاتنا غير ذلك ..
إذا أحب .. اندفع وأنا أدعوه للانضباط ..
وإذا أعطى أسرف .. وأنا أطلبه بالاعتدال ..
وإذا صدق أخلص .. وأنا أقول له تريث قليلاً ..
ونختلف .. ويتمسك هو برأيه .. وأتمسك أنا برأىي . وأتركه
يفعل ما يريد .. وأراقبه من بعيد .. حتى إذا سقط مغشياً عليه
ذهبت إليه .. وأخذت بيده وداوينا جراحه .. وكثيراً ما سقط
منى .. وكثيراً ما رأيت الكدمات على وجهه والدماء تسيل من
رأسه .. وأقول لنفسي غداً يكبر وينضج ويفهم الحياة ..
مرات كثيرة أشفقت عليه . ولكنني كنت أقول بيني وبين نفسي

دعه يتعلم . . وكلما خرج وأفلت منى وحاول أن يتعلم جاءنى بجرح جديد . .

ولم أعد أجد للخلاف مبرراً فهو يصر على كل ما يريد وأنا لا أتحمس إطلاقاً لمحاولاته وبحثه عن ذلك المجهول . .

قلت له يوما : مأساتك يا قلبى أنك تحلم كثيراً مثل كل الشعراء ولكن يجب أن تفرق بين الحلم الذى تراه والواقع الذى تعيشه . لن تجد فى الأرض تلك المرأة التى تصورتها خيالا . . لن تجد ذلك الحب الذى غنيتة شعراً . .

واتفقنا أن نعيش الواقع معاً . . وأن يبقى الحلم بين أوراق دفاترنا . .

ولكنه يخلط الأمور كثيراً ويتعبنى معه . .

وبعد محاورات وصلنا إلى نتيجة . . تركت قلبى للشعر وعشت الحياة مع الناس . . وكثيراً ما كنت أصبح به معنى لطوف الشوارع ونضع أقدامنا فى الطين ، حتى لا يظل يحلم بعيداً عن الناس . . كنت أريد منه أن يحتفظ ببراءته ونقاته . . ولكننى كنت أريد أن أرى فى قدميه بقايا من الطين وفى راحتيه أحزان الناس ومعاناتهم . .

ووصلنا إلى صيغة متوازنة . . أن نحلم معاً بكل ما نريد وأن نرى العالم كما نحب أن نراه . . وأن نعيش الحياة كما هى . .

وغرق قلبى فى هموم الناس ولم ينس حلمه .. وأخذته أمواج
عاتية من أحزان كثيرة تحاصر زماننا المختل عقلياً .. ولم يفقد
براءته ..

وما زال يندفع كلما أحب .. وما زال يسرف فى عطائه كلما
أعطى .. وما زال يتمسك بصدقه القديم فى عالم من الزيف
والدجل .

ولم نعد نختلف كثيراً ..

تعلمنا من تجاربنا السابقة .. وكبرنا معا .. وأصبح العمر
لا يتسع لتجارب جديدة .. فتوقفنا ..

وكلما جاء طارق جديد يسألنى هل نفتح الباب . أقول له
ضاحكاً : أصبحت لدينا الآن مناعة ضد كل الأوراق المزورة وخدع
السينما ومسلسلات التليفزيون .

جاءنى أخيراً وقال لى : أشعر بضوء خافت ينساب داخلى ..
ماذا أفعل ؟

قلت له .. انضبط ..

قال لى : أشعر برغبة فى العطاء ..

قلت له : اعتدل .

قال لى : أريد أن أخلص ..

قلت له : في حدود . .
ولم يسمع كلامي ومضى . .
وتركتني قلبي وعاد لتمرده القديم . .
وما زلت واقفاً أرقبه من بعيد وأتمنى ألا يعود لي بجرح جديد .

زمن قصير القامة

نحن نعيش زمانا قصير القامة . . وما أسوأ أن نعيش الزمن
القصير . . لأن الزمن القصير يختار من هم أقصر قامة منه . .
وتقصر الأشياء أمام أعيننا حتى تتحول أحجام بعض الناس إلى
عقلة أصبع .

زماننا قصير القامة في مواهبه . . قصير القامة في مواقفه . . قصير
القامة في خلقه وترفعه . .

والإنسان مثل الأشجار . . وقد تكون شجرة الجميز في حجم
هرم نخوفو ولكنه جميز . . وقد تكون شجرة العنب على سطح الأرض
ولكنها تعطى العنب .

والإنسان وليد زمانه . . فالزمن الرديء يفرض العملات الرديئة
والزمن العظيم لا مكان فيه إلا للعملات الجيدة .

ولا أدري ماذا أصابنا . . أصبحت أندر الأشياء الآن أن تجد
رجلاً طويل القامة موقفاً وسلوكاً وترفعاً . . بينما تجد الأقزام بالآلاف .

يدبجون الحكايات ويقدمون القرابين ويحملون « المباخر »

نحن نعيش زمان « المباخر » . .

فالمواقف الآن تتغير مثل الكرافات والجوارب . . وهناك مواقف
جاهزة مع كل اتجاه ومع كل رأى . . وبجوار كل قضية . .

هناك سوق واسعة في عالمنا العربى لتجارة القضايا والمواقف . .
والأفكار . . تستطيع أن تجد لنفسك سوقاً في اليسار . . فإن لم تجد
فلديك اليمين فإن لم تجد فلديك الوسط فإن لم تجد فلتتاجر في الدين
فإن فشلت تستطيع أن تكون مطرباً أو مخرجاً في السيرك السياسى
أو تعد مسلسلات هابطة للتلفزيون .

كل الأشياء وكل السلع وكل المواقف تستطيع أن تجد لك مكاناً
معه الآن في الساحة العربية لأن أصحاب القضايا الحقيقيين انسحبوا
من الساحة . . ولأن القضايا الحقيقية غابت . . ولأننا مجتمعات
نعيش الآن بلا قضايا . .

في زمان مضى كانت لنا قضايا . . كانت قضايا احتلال
واستقلال . . أو قضايا حرية وتعليم . . أو قضايا فكر . .

ولكننا الآن نعيش في ذواتنا . وبعد أن كانت مجتمعاتنا تتكون من
أفراد أصبح كل فرد فينا مجتمعاً مستقلاً لا يعنيه من أمر الآخرين
شئ . . فإذا كان هذا هو مصير أفرادنا فلا شك أن مصير مجتمعاتنا
أكثر تفككاً واضمحلالاً . .

في يوم من الأيام جمعنا قضايا تحرر .. وعلم .. وثقافة ...
والآن لا يجمعنا شيء غير مسلسلات التليفزيون الهابطة ومباريات كرة
القدم وأصوات رديئة تطارد أذاننا ..

في يوم من الأيام كان نجوم الحياة يتمثلون في مواقفهم وسلوكهم
وقضاياهم ..

كان العقاد نجماً حينما هاجم الملك فؤاد .. وكان طه حسين نجماً
حينما أصدر الشعر الجاهلي رغم كل تجاوزاته .. وكان شوقي نجماً
حينما جمع الأمة العربية والإسلامية على كلماته .. وكانت أم كلثوم
نجمة حينما حملت لنا أجمل المشاعر وأنبأها .. ولكن من هم نجوم
اليوم ؟

نجوم اليوم لاعب أحرز هدفاً أو سمساراً كسب الملايين في
صفقة ، أو تاجر كاسيتات يربح على حساب مشاعر الناس
وأحاسيسهم .

كان النجوم في زمان مضى نجوم قضايا وأفكار ومواقف ..
ولكنهم اليوم نجوم تجارة وشطارة وفهلوة .

وقصرت القامات شيئاً فشيئاً .. وتراجعت الأحجام يوماً بعد يوم
وكل قصير يجمع حوله من هم أقصر قامته منه ..

وغابت المواقف واختفى رجال المواقف .. ولم نعد نملك شيئاً
أن نأمل في زمان جديد تعود فيه أقدار الرجال .

وما أسوأ أن يأتي الإنسان في غير زمانه . . وما أسوأ أن تفقد
الأشياء طبيعتها . . فيصبح الحق ضلالاً . . ويصبح العمالة
أقزاماً . . ويصبح الأقزام عمالة . . ونسمع الأصوات الرديئة
ونصبح : « الله » . . .

ونرى الباطل ونصبح : ما أعد له . .
ويضيع العمر منا ونحن نعيش بلا هدف . . بلا قضية . . .
بلا معنى لأى شىء فى الحياة . .
هل هناك مهزلة أسوأ من هذا . . لا أعتقد .

ماذا أعلم ابني ؟

سألني صديقي : ماذا نعلم أبناءنا في هذا الزمان . . قل لي
بربك ماذا أعلم ابني . . هل أعلمه أن يكون شريفاً فيدفع ثمن
الشرف أمام عشرات اللصوص الذين يستبيحون دمه ؟

هل أعلمه أن يقول الحق ولو قضى عمره في سراديب
السجون . . هل أعلمه أن يكون صاحب خلق في مستنقع كبير لم يعد
يعرف شيئاً اسمه الأخلاق . .

وأضاف صديقي : ماذا أعلم ابني . . حقيقة إنني في حيرة . .
لقد تغيرت مقاييس الأشياء . في زمان بعيد كان الشرف هو العملة
السائدة . . وكانت الأخلاق هي أساس السلوك .

كانت العملة الرديئة هي الاستثناء فكان الناس يقولون فلان هذا
« رجل لص » لأن اللصوصية كانت هي الاستثناء ، ولكننا نقول اليوم
فلان هذا رجل « أمين » لأن الأمانة أصبحت هي الاستثناء . .

كنا نقول هذا رجل بلا أخلاق . . والآن نقول هذا رجل عنده

أخلاق . لقد تغيرت طبيعة الأشياء فأصبحت الجوانب القبيحة في الحياة هي الأصل والأساس وأصبحت الجوانب الطيبة هي الاستثناء والندرة .

قلت لصديقي : لا تعلم ابنك لغة هذا الزمان ولو لم ينطق . .
ولا تعلمه القبح ولو أصبح كل شيء في الحياة قبيحاً . .

إننا لا نستمد الجمال من خارجنا ، إنما نستمده من داخلنا . .
ولأننا نرى العالم من خلالنا قبل أن نراه من حولنا . .

قد يصبح الشرف عملة نادرة ولكنه سيظل صالحاً لكل زمان .
لأن العملات الرديئة أشياء طارئة في حياة الناس لا يمكن أن يكتب لها الدوام . .

قلت لصديقي : علم ابنك أن يقول الحق ولودفع الثمن لأن الأشياء العظيمة تستحق أن نتحمل من أجلها آلاماً عظيمة . . علمه أن يكون صاحب مبدأ وقضية ولو تحولت الحياة حوله إلى مجموعة من سماسرة المبادئ وتجار القضايا . .

علمه أن يتمسك بالصبح ولو أظلمت كل الأشياء حوله . .

علمه أن عذاب الحق أجمل كثيراً من كل متع الضلال . .

وأن انتظار الصبح لا يقل جمالا عن رؤيته . .

وأن القبح سيظل هو القبح ولو غير ثيابه عشرات المرات . .

علم ابنك ألا يخاف ولو تحولت الحياة إلى مدينة أشباح . . علمه
أن يتكلم ولو أصيب العالم بالصمم . .
علمه أن ينطق ولو صارت الحياة كهوفا للخرس .
قلت لصديقي : زماننا القبيح لن يدوم . .
سيأتى زمان يدرك قيمة الإنسان ويصبح فيه الإنسان إنساناً . .
سيأتى زمان ينطق فيه الناس مرة أخرى ويتكلمون
ويتحاورون . .
سيأتى زمان جديد للشرف والنزاهة والأمانة والخلق . .
سوف تتفجر شلالات وأنهار لتطهرنا من المستنقع الذى غرقنا
فيه . .
سوف نرى زمانا أكثر طهارة وأكثر نبلاً . . وسوف تتوارى كل
مظاهر القبح ليعود للحياة جمالها القديم . .
سوف تسقط كل الأصنام التى ضللتنا . .
وسوف تنهوى كل الرؤوس التى خدعتنا فكراً أو سلوكاً . .
يا صديقى علم ابنك الفضيلة لأن الزمان الساقط لن يدوم . .



لا أصدق نفسي

قالت : أراك تحاول أن تبتعد عني بكل الوسائل ..

أشعر أحياناً أنك تحاول أن تهرب .. لا تريد مواجهتي ..
لا تريد أن نبقي معاً هل كرهت أم سئمت أم تغيرت .. ؟

قلت : أصبحت الآن أخاف على نفسي من نفسي .. أصبحت
أفضل الأشياء التي تحفظ لى توازنى .. البراكين والزلازل
تعصف بأعماقى .. أفقد أحياناً مقاومتي .. أفقد
توازنى .. وأسوأ الأشياء عندى أن أشعر أننى فقدت
توازنى ..

قالت : البراكين هى التى تغير شكل الأشياء .. تأتى لنا بعالم
جديد .. وحياة جديدة ..

إنها تحطم كل شىء .. لكى تصنع شيئاً جديداً ..
وما أجمل الأشياء الجديدة !

قلت : البراكين تحرق .. وتدمر وتقتل .. إنها تصنع أشياء جديدة ..

ولكنها مجهولة .. قد يخرج منها الذهب .. وقد تخرج منها
النيران .. وأنا لا أعرف حظي ..

قالت : اترك نفسك لطبيعتها .. دعها تحاول وتجرب وتسبح ..
حتى ولو تعرضت للغرق .

قلت : لأننى غرقت قبل ذلك أعرف تماماً إحساس الموت ونحن
نغرق .. لقد جربت الموت مرة .. ولا أريد أن أموت
مرتين .. يكفى أننى فقدت نفسى ذات يوم مرة واحدة ..
قالت : حاول معي .. سوف أجعل موتك الجديد بعضاً ..

وسوف أبني من بقاياك قصوراً .. وسوف أغرس من
خريف عمرك أشجاراً .. وسوف أحطم كل قيود أيامك
ولياليك .. دعنى أحاول معك أن تكون أيامنا خلقاً وعالمًا
جديداً ..

قلت : كل الأشياء الجديدة تبدأ بنفض وإحساس جديد .. الزهرة
تكبر وتفوح رائحتها .. ونشعر بسعادة شديدة وهى تعانق
أنفاسنا .. وبعد يوم .. وربما بعد يومين تصبح الزهرة بقاءاً
جمال مات .. كذلك السعادة نعيشها .. نتنفسها
وبعد ذلك ينتهى كل شيء ولا يبقى لنا غير الحزن ..

قالت : معنى هذا أنك لن تجرب السباحة أبداً ..
لن تحاول البحث عن لحظة سعيدة ..

لن يغريك المجهول بمحاولة الكشف عن أسرارهِ . .
دعنى أحاول معك أن أكون سفيتك لشاطيء النجاة . .
أن أكون السر الذى لن يشقيك أبداً . .
أن أكون البسمة التى لن تفارق أيامك . .
قلت : لقد سمعت هذا كثيراً قبل الآن . . ولكن المشكلة حتى
لو صدقتك . . أننى لم أعد أصدق نفسى . .
قالت : أريدك أن تصدقنى هذه المرة . . دعنى أحاول معك أن
نصنع من حطام زماننا قصوراً . . ومن أحزان أيامنا
أفراحاً . . دعنا نبدأ من جديد . .
قلت : كل النهايات كانت لها بدايات . . ومن الأفضل أن ننهى
الأشياء قبل أن تبدأ . .
من أجل أن نبقى دائماً . . أصدقاء . .

ذات ليلة

ما الذى جعلنى أتذكرك الليلة . . رغم أن هناك سنوات طويلة
باعدت بيننا . . وأصبحت تلالا من الثلوج والاغتراب والوحدة . .

لا أدرى لماذا تذكرتك . . فجأة وجدتك أمامى . . شعرت
بحرارة يديك على وجهى . . هل كان حلماً . . من أحلام اليقظة . .
إننى نسيت أحلام اليقظة من سنين . . ورغم أننى كنت أقرأ عنها
كثيراً وكيف يرى علماء النفس فيها بعض الظواهر المرضية إلا أننى
كنت أستمع بها أحياناً . .

حتى أحلام اليقظة لا أستطيع الآن أن أعيشها . . وعجبت من
نفسى كيف أتذكرك أنت بالذات . . وهناك أطياف وأطياف عبرت
أمامى سنوات وسنوات وأشياء كثيرة باعدت بينى وبينك . . فلم
تعودى حلماً . . ولم تعودى حقيقة ووجوداً . . مجرد طيف المبح
ملاحه من بعيد . .

ما الذى يبقى فى داخلنا من الأيام . . نحمل فوق ظهورنا عمراً

طويلاً ولا يبقى في ذاكرتنا منه سوى بضعة أيام . . ونرى وجوها كثيرة
ويبقى في أعماقنا وجه واحد . .

رأيتك بالأمس وكنت سعيداً أن هناك شيئاً بقي في أعماقي ولم
يتكسر . . لقد تكسرت أشياء كثيرة في حجرات قلبي . . وكنت دائماً
أخاف عليك . . ربما تمتد يد الزمن وتعبث بك . . ولكنني فوجئت
بانك ما زلت كما أنت في داخلي . . شعرت بسعادة غريبة وأنا أرى
ملاحك أمامي لم تتغير كما تغيرت في حياتي كل الأشياء .

رأيتك وجوداً حياً مكثفاً في داخلي . . شعرت بكل الأشياء
الجميلة التي عشتها معك . . يوم أن كنت أودعك وأشعر أنني أنتزع
جزءاً من قلبي يرحل بعيداً عني . . شعرت بلحظات اللقاء التي
كانت تجمعنا يوم أن كنت أطير إليك وأشعر وأنا ذاهب إلى ميعادك
أنني أسعد إنسان فوق هذه الأرض . .

تذكرت لحظات عتابنا وكيف كنا نختلف لكي نعود أكثر تقارباً
في الرأي والفكر والوجدان . .

تذكرت تلك المرات القليلة التي افترقنا فيها لكي نعود ونحن أكثر
شوقاً وأعمق حباً . . عادت إلى ذهني صورتك يوم أن قررنا ذات يوم
أن نفترق ولم نقدر على ذلك غير بضع ساعات لكي نعود كما كنا . .
كل هذه الأيام عادت إلى قلبي الليلة . . تذكرت كل تفاصيل

حياتى معك رغم أننى فى أحيان كثيرة كنت أحاول أن أوهم نفسى
بأننى نسيتك وكنت أرى فى زحمة الحياة ومشاغلتها أن أشياء كثيرة قد
ملأت مكانك الذى ظل سنوات طويلة وأنت فى كل جزء فيه . .

رجعت الليلة . . اشتقت أيامى معك . . اشتقت حلاوة
حديثك وحنانك الذى مازلت حتى اليوم أشعر باحتياج شديد له
ولك . . لماذا تذكرتك الليلة بالذات . . هل لأننا نودع عاماً
يرحل . . أم لأننا نستقبل ضيفاً جديداً قادماً يحمل لنا أياماً وعمراً
جديداً .

هل لأننى أغلق صفحة من عمرى لأفتح صفحة جديدة وفى
دوامه ترتيب الصفحات ظهرت صورتك فجأة بين كل هذه
الصفحات . .

ولكن لماذا تذكرتك أنت بالذات . لقد تصفحت عشرات
الصفحات ولم أتوقف بفكرى وعقلى ووجدانى إلا أمام صورتك
أنت . .

ويحى منك . . مازلت فى خيالى كما أنت بكل ما كان فيك . .
ما أحببته فيك وما كرهته . . ما كان يعجبني وما لا يعجبني . . حتى
أننى تذكرت فجأة أننى قد نسيت كل الأشياء التى فرقت بيننا يوماً .
حماقاتك . . عصبيتك . . سوء فهمك لى . . لم يبق منك فى داخلى
غير مجموعة خطوط جميلة ومضيئة أذكرها لك . .

لم يبق غير ذلك الوجه الصبوح المشرق الذى أحببته فيك . . لم
يبق غير كلماتك بعدوبتها وتهورها . . صدقيني اشتقت كثيراً لجنونك
وتهورك . ولقد استكنت بعدك . . إن روافد الأنهار تتعلم الثورة من
تدفق النهر الكبير . . ومنذ رحلت هدأت في داخلي كل الأشياء حتى
أننى أتذكر ذلك الإنسان المتمرد الذى كان في داخلي واستكان
بعدك . . كانت ثورتى بعض ثورتك . . وكان جنونى من جنونك . .
كيف أعيدك يا جنونى . . يا ثورتى . . لا أدري كيف أفعل ذلك . .

لا تشتري قلباً ..

اتسعت في السنوات الأخيرة أسواق بيع الأعضاء الإنسانية ..
فهناك معارض الآن في أمريكا وأوروبا يشتري منها الناس
الكلى .. والكبد .. والقلوب .. وكل أجزاء الجسم تقريباً ..
يستطيع الإنسان أن يذهب إلى معرض الأجزاء الآدمية كي
يشترى قلباً .. ويجلس الأطباء يركبون القلب الجديد ..
وكما يغير الإنسان « شكمان » سيارته يستطيع الآن أن يغير
قلبه .. وفي حقيقة الأمر هو لا يسأل نفسه عن هذا القلب
الجديد .. هل كان قلب رجل أم قلب امرأة .. هل كان قلباً حساساً
أم كان قلباً قاسياً ..
هل هو قلب شاعر حل هموم الدنيا ، أم قلب مجرم حل للدنيا
الموت ..
وأنا أشفق على الناس من شراء قلوب الشعراء .. فلو ذهب
إنسان إلى سوق البيع الآدمي ليشتري قلباً لقلت له إياك وقلوب
الشعراء .. والساسة ..

لأن قلوب الشعراء أرق من أن تتحمل هموم هذا العصر . .
وإحباطات هذا الزمان . . وما دمت ستغير قلبك حاول أن تختار قلباً
صامداً شديداً قوياً يواجه معك هذا الزمن الرديء بأعصاب من
حديد . .

ولأن قلوب الشعراء مجهدة . . ولأنها أحبت كثيراً وماتت كثيراً
ونزفت منها دماء كثيرة في شوارع السياسة ودهاليز القهر . . ولأنها
قلوب حملت أحلاماً لم تتحقق . . ولأنها عاشت على دنيا الأحلام ولم
تحقق منها حلماً . .

من أجل هذا كله لا تشتر قلب شاعر . . فسوف يحمل معه
أحزانه وأحلامه وأمانيه وإحباطاته . . وهذه أشياء ترهق القلوب
وتجعلها تصاب بالعجز المبكر . . فيايك وقلوب الشعراء . .

وفي جانب آخر إياك وقلوب الساسة لأنها قلوب تغيرت ألوانها
وثيابها ومواقفها عشرات المرات فلا تستطيع أن تحدد لها لوناً أو طعماً
أو اتجاهها . .

إنها قلوب لا تدق ولا تنبض ولا تتحرك . . إنها قلوب داست
السياسة كل جزء فيها واستباح كل مقدساتها . . وقبل هذا كله هي
قلوب لا تنبض إلا قليلاً . .

وربما يجلس السياسي على كرسية عشرات السنين ولا يسأل نفسه
كم عدد قتلاه . . وكم عدد ضحاياه . .

وربما يموت ولا يسأل نفسه هذا السؤال . .

فلا تشتت قلوب الساسة لأنها قلوب تعلمت القسوة وأدمنتها وهذا العالم لا تنقصه القسوة . . ما أحوجنا إلى الرحمة . .

قلوب الساسة قلوب متعبة بها فعلت . .

ولهذا أنصحك ألا تغير قلبك وأن تتركه على حاله ولا تحاول أن تبحث في ورشة القلوب في أمريكا وأوروبا عن قلب جديد يكون أكثر كفاءة . . فربما حمل لك هموما وآلاماً وأحزاناً أكثر من قلبك الذي بين جنبيك . .

وإذا كان ولا بد من أن تغير قلبك . . فعليك أن تختار قلب طفل صغير لم تدنسه بعد أقدام هذا الزمان العاثر الردى . .

إذا كنت تريد أن تستبدل قلبك فحاول أن تختار قلباً لم يحمل هموم هذا العالم أحزاناً واحباطاً ويأساً . .

إذا كنت تريد أن تغير قلبك حاول أن تختار قلباً لم يتعلم الكراهية بعد . . حتى يمكنك أن تحب . .

ورحل الربيع غاضبا

تداخلت الفصول بعضها في بعض . أصبح الربيع شتاء فانزوت
الأزهار وأصبحت لا تجد لها مكانا في صقيع الأيام . وتساقطت أوراق
الأشجار الصغيرة بين العواصف والرياح . . وعاد الإنسان يجتر آلامه
وأحلامه وأيامه التي رحلت تحت ظلال بيته . . بعد أن فقد الأمل في
الحصول على لقاء عابر مع الربيع ولو في نسمة تحمل شيئا من عطره .

وهكذا بدأ فصل الربيع يجمع أوراقه ويحمل حقايبه دون أن
تسمع منه لحنا أو نردد معه نشيدا واختفت طيوره المغردة وسقطت
أزهاره الحائرة وعادت عريجات الشتاء وعواصفه تملأ آذاننا
بالضجيج . . وعيوننا بالأتربة . .

ووقفت أسأل الربيع وهو يجمع ظلاله وأوراقه والحزن يخنفني
خلف عينيه . . لماذا رحلت مبكرا يا صديقي . . تركتنا للشتاء
يعصف بنا . . وها هو يتركنا للصيف بعد أيام قليلة ، ولا ندري ما
هو فاعل بنا . . ولعله سيفعل كل ما يأتي لنا به كل عام . . حر

القاهرة القاتل ، وأسعار الإسكندرية التى ترتفع عشرات الدرجات كلما ارتفعت درجة الحرارة نصف درجة وتتراكم المتاعب والأحزان فى أعماقنا طوال العام على أمل أن نتخلص منها فوق رمال الشاطئ ولكن هيهات أن نستطيع ذلك الآن . .

وسألت الربيع : لماذا رحلت مبكراً ١١ .

قال : أحوال الناس لم تعد تعجبني . . أنت تعلم أننى بسيط الحال كل ما أملكه مجموعة من الزهور والطيور والنسبات الرقيقة العابرة أدور بها فى كل بلاد الدنيا ويلقانى الناس بالترحيب والسعادة فى كل مكان . . أنا صديق لكل بنى البشر ، عندى لغة يفهمها الناس جميعاً فى كل مكان وزمان . علمت الناس الحب . . ونشرت عبرى بينهم وغرست فيهم صفاء الإنسان ونقاءه وطهارته . ولكن بالله عليك أين الأعشاش التى تسكنها العصافير فى بلادكم . من الصعب أن يجد الإنسان فيها مكاناً فهل تجد العصافير هذا المكان . إنها لا تريد أوتيسات تركبها ولا تليفونات تتحدث فيها ، ولا تليفزيون تصيبها براحه بانبيارات عصبية ، ليست فى حاجة لكل هذا إنما فقط تريد بيوتا . وأين هذه البيوت فى ظل خلوات الرجل والشقق التملك والشقق المفروشة .

والعصافير لا تملك شيئاً تدفعه غير أن تغنى للناس . والناس الآن لم تعد تحب غناء العصافير ، إنه زمن الغربان يا سيدى . . الكل

يجب الآن أصوات الغربان ، لعلك لم تعد تسمع الآن الأغاني
القديمة لأم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش . حتى الأشجار لم
يعد لديكم أشجار تقيم العصافير عليها أعشاشها . . كيف بالله
تعيش بينكم . .

وقال الربيع في ألم : لقد كنت أحمل لكم كل عام العطر
والعبير . . فكيف يكون ذلك والأتربة تملأ الجو وتحرق الأنفاس . .
أتربة المقطم وقد أصبح الآن ثائراً يلقي بمدافعه الثقيلة كل يوم فيتغير
حال المدينة ويظلم نهارها . . ومع ثورة المقطم تجد عمليات الحفر
لا تنتهي في الشوارع ، لا ينتهي رصف آخر الطريق إلا لكي يبدأ
الحفر في أوله . . وهكذا تحولت الشوارع إلى حفر . . مقال لتركيب
مواسير المياه وآخر للكهرباء وثالث للتليفونات ورابع للمجارى . .
وكل واحد من هؤلاء يحفر الطريق ثم يرصفه . . ويأتى ببلاط جديد
يكسره القادم بعده وهكذا رزق الهبل على المجانين .

وسكت الربيع قليلاً ثم قال : الناس يا سيدى لم يعد لديهم رغبة
في أيامى . . رغيف العيش أهم الآن من كل شيء . . في زحمة الحياة
ينسى الناس الزهور والعطور والمشاعر . . وتصبح لغة البطون أعلى
من كل شيء . . لم يعد هناك مكان للزهر في زحمة الأتوبيس . .

ومضى الربيع وهو يهمس في أذنى : لعلك تصدقنى الآن إذا
قلت أنه لم يعد لى مكان بينكم . . لذلك هجرت الدار قبل أن أبداً
المزار . .

حلم .. بدون رصيد

لا أدري لماذا أذكرك الآن كثيراً . . رغم أن النسيان نعمة الله على عباده . . فلولا النسيان لتجمعت آلام الناس كالأمطار وصنعت من قطرات الماء المتناثرة بحاراً وأمهراً ، والألم يطهر الإنسان كالماء تماماً . . ولكن الله تعالى جعل النسيان أرضاً تمتص الكثير من الأحزان حتى ينقذ الناس من أحزانهم . .

وعدت في هذه الأيام أتذكرك . . رغم أنني كثيراً ما كنت أضع سداً يفصل أيامك عن أيامي . ويبعد طيفك عن طريقى ويبدد ما تبقى بيننا من نسيمات شوق تطوف علينا أحياناً . . فتتذكر .

أحاول أن أبعد طيفك عن طريقى ولا أتذكرك . . ولا يعنى ذلك أنني أصبحت أكرهك الآن . مازلت أحب كل شىء فيك أيامك . . أخطائك . . ثورتك . . حماقتك . . وجنونك . ولكننى لا أريد أن أتذكرك حتى لا أذكر أيام الأحلام الكبيرة التى مازلت أتحسر عليها .

إننى أعيش الآن زمن الأحلام المزيفة والعملات الرديئة . . لقد
ماتت كل الأحلام الصادقة والجميلة . .

أصبحت الآن فقيراً . . أفلست خزانى . وأصبح الدائنون
يطاردوننى فى كل مكان . . لأننى لا أستطيع سداد أحلام اقترضتها
من الناس وعجزت عن سدادها .

لعلك تذكرين ذلك الرجل صاحب العمارات الشاهقة من
الأحلام والذي أحببته يوماً . . كانت خزائنه مليئة . ودفاتر شيكاته
لا يحيف مدادها . كان كل يوم يوقع عشرات الشيكات بأحلام
جديدة . . ويضيف إلى رصيده آلاف الأمانى مع شروق كل يوم . .

كانت أحلامى كالنهر المتدفق يغمر الناس جميعاً بالعطاء . وجف
ماء النهر وتسربت الشقوق إلى أعماقه وصار أرضاً قاحلة . .

حلمنا معا بإنسان أفضل ، وما زال الإنسان هو الإنسان بل
قصرت قامته .

حلمنا بغد أكثر إشراقاً وصدقاً وطال انتظارنا له .

حلمنا بعقول أكثر خصوبة وبريقاً . . وبيتنا أكبر أمناً . .
وأصبحنا نخاف أنفسنا أكثر مما نخاف الناس .

أصبحت الآن مفلساً ، كل ما عندى بعض عملات قديمة
صدأت أحتفظ بها فى خزانة أحلامى الخاوية كتذكارات لأيام عز

قديم . تغير لونها . . وأصبحت قطعاً من النحاس الأسود القبيح . .
ورغم قبحها فمازلت أزين بها خزينتي الخاوية لأنني لا أملك شيئاً
غيرها .

أفلست وأعلنت ذلك أمام كل الدائنين فلم يعد لدى أحلام
أقرضها لأحد أو حتى أسدد بها ديوني القديمة للناس .
أغلقت خزائني ومزقت كل دفاتر الشيكات حتى لا أوقع حلاًماً
بدون رصيد وأدخل بسببه السجن . .

من أجل هذا عدت أذكرك فأنت زمن الأحلام الكبيرة .
سوف يضايقك أن أبدو أمامك مفلساً هزياً أتسكع في شوارع
الأيام أسأل الناس الإحسان ويقولون عني : هذا رجل علمنا كيف
نحلم ، وأقرضنا جميعاً من أحلامه في وقت الحاجة وجاء عليه زمان
الأحلام الفقيرة فمضى في الشوارع يتسول الأحلام من الناس . .
إنني لا أجد شخصاً واحداً يقرضني حلاًماً . .
نرى هل أفلسنا جميعاً ؟ !



سأواجه قدرى بدون عينك

اعذرينى يا حبيبتى . . لم أعد أرى بريق عينيك فى هذه الأيام .
سحابات الدخان والبارود وبقايا الأنقاض تحجب عن عيني بريق
عينيك . .

اعذرينى . . كنت فيما مضى أنظر فى عينيك وأنسى أشياء
كثيرة : الهموم العابرة . . ومتاعب الحياة . . وزماننا الضائع . .
كان بريق عينيك قريباً صغيراً يحملنى إلى بر الأمان فالتقط بعض
أنفاسى وأعود أسبح من جديد . . وأستكمل الرحلة . .

كنت أشعر فى عينيك أن هناك مساحة صغيرة جداً فى هذا العالم
يمكن أن تحتوينى وأشعر فيها بالأمان . .

كثيراً ما كنت أدخل عينيك وأغلق خلفى جميع الأبواب وأشعر أن
جيوش الأرض ومباحث الكون لن تصل إلى . . مادمت فى
عينيك . .

ولكننى قررت من الآن ألا أهرب إلى عينيك مرة أخرى ، لم يعد

الجمر يسمح بالهروب . سوف أظل واقفاً في مكانى أمام التيار أواجه
قدرى بدون عينيك ولن أهرب إلى الشاطئ مرة أخرى .
أدركت الآن يا حبيبتي أن أحزان زماننا أكبر بكثير من حجم
براءتنا .

أفقت يا حبيبتي فجأة . . وأدركت أن تراب الانقراض الذى
تحمله الرياح إلينا وتوهمنا أنه بعيد . . ليس ببعيد .
أدركت أن العيون الجميلة التى عشت حياتى أعشقها وأنغنى بها
يمكن أن تغطيها الأتربة وتصاب بالعمى ونفقد القدرة على أن يرى
كل منا الآخر . .

لسنا فى مأمن يا حبيبتي من الطوفان . . إنه يحاصرنا ولن ينجو
أحد منه .

لست متشائماً . . ولكن الحقائق الكبرى فى هذه الحياة ظهرت
فجأة . . ولعلنا الآن ندرك حجم الطوفان الذى يهددنا .

كان من الممكن فى أى وقت مضى أن أخاف على أى شىء
إلا عينيك . . كنت أخاف على حقيبتك أن يسرقها أحد اللصوص
وما أكثرهم . . كنت أخاف أن يؤذى شعورك أحد بكلمة جارحة
أو تصرف مجنون وأنت تمضين شاخصة على الطريق . . ولكننى لم أتصور
أبداً أن يصل الدمار إلى عيني حبيبتي وتصاب بالعمى .

أصبحت أدرك أن تلال التراب التى تحيطنا بدأت تتحرك وتهدد
العيون الجميلة . . وأن المأساة أكبر مما تصورنا . .

سوف نغرق يا حبيبتى فى تلال التراب . .
من أجل هذا اعذرينى . . فلن أجلس أمامك اليوم لأتأمل
عينيك كما كنت أفعل فى زمان مضى . .

ربما أعود إلى عينيك مرة أخرى بعد أن تظهر كل الأشياء حولنا
ونتخلص من تلال التراب التى تحاصرنا . . ونفتح أعيننا على عالم
جديد . .

مازلت أومن أن الهواء النقى سوف يعود مرة أخرى وأننا
سنتخلص من كل أكوام التراب التى تفصل عينيك عنى . . ويومها
سأعود أراك كما كنت . .

صدقينى ، تلال الأنقاض والأشلاء والبقايا تحجبك عنى . .
وتحجبني عنك .

وأخشى ما أخشاه أن نصاب جميعاً . . بالعمى . .

نحن والشتاء

مشاعر مختلفة يحملها إلينا الشتاء كلما عاد . والشتاء من أحب
فصول العام إلى قلبي . أشعر فيه أنني أقترّب من ذاتي التي تتشرد
منى بين الشهور والأيام على محطات الزمن . فجأة ألتقط بقاياها من
فوق أرصفة الحياة . . أهرب بها من صقيع الطرقات وأنزوى في ركن
صغير من أركان بيتي بعيداً عن الناس . أجلس أمام مدفأتي الصغيرة
أحاول أن أجمع أشلائى المتناثرة لأصنع منها ذلك الإنسان القديم
الذي أحبيته في داخلي .

كثيراً ما يبدو هذا الإنسان أمامي تائهاً ضالاً في الطرقات كالطفل
الذي لا يعرف له بيتاً أو مأوى . . وفجأة تمسك به يد رحيمة وتحمله
إلى حيث الدفء والحنان .

هكذا أشعر مع نفسي في الشتاء .

والشتاء يترك إحساساً عميقاً في داخلنا بالوحدة . والإنسان في
حاجة في بعض الأحيان لأن يخلو إلى نفسه ويجلس معها على انفراد .

قد يكون لقاء مصالحة أو جلسة محاكمة أو بعضاً من عتاب . المهم أن يجلس مع نفسه . . ينتزعها من بين الناس . . يستخلصها من أحوال الحياة ومستنقعات الزمن . . يزيل عنها تراكمات الأتربة التي تعلق بها كل يوم ، يحاول أن يفتش فيها عن ذلك الضوء القديم الذي يختفى شيئاً فشيئاً ويتضاءل يوماً بعد يوم .

الإنسان لا بد أن يتعود على الوحدة حتى لا ينسى حقيقته الأولى التي ولد بها ولا بد أن يرحل معها . . فنحن نولد وحدنا ونموت أيضاً وحدنا . وبين الولادة والموت لا ينبغي للإنسان أن ينسى حقيقة أنه وحيد .

ولعل الحضارة الحديثة قد أظهرت معادن البشر فأصبحت الوحدة أهم أمراض الحضارة .

في العام الماضي كنت في زيارة للدانمرك وفي إحدى الندوات باتحاد الكتاب الدانمركيين وقفت معي امرأة عجوز جاوزت الستين وسألتها : هل يحرص الناس هنا على حضور الندوات الثقافية ؟

قالت : أنا شخصياً أحرص على حضور هذه الندوات ، وليس ذلك لأنني أحب الثقافة فقط ولكن لأنني لا أجد من أتحدث إليه . . هل يمكن لك أن تتصور أنه من الممكن أن أقضى أسبوعاً كاملاً دون أن يزورني أحد أو أسمع صوتاً في التلفون . . إنني الآن تجاوزت سن

المعاش وأعيش وحدى وقد لا أجد إنسانا أكلمه ويكلمنى . . فقط مجرد الكلام . .

وهذه هى حضارة اليوم . . ولعل هذه السيدة العجوز مثلاً حياً . إن الضجيج كثيراً ما يأخذنا من أنفسنا . والإنسان لا بد أن يتوقف بعض الوقت ويترك نفسه للتأمل .

والشتاء يقربنا من أنفسنا . . وفى لحظات الاستكشاف الخاصة بين الإنسان ونفسه يدرك حجم الربح والخسارة . . وما الذى يبقى وما الذى ضاع . ولكن الشيء الأهم أن الإنسان يستطيع فى مثل هذه اللحظات أن يراجع حساباته ويختبر معدن العملات التى احتفظ بها . . يعرف الزائف من الصحيح . فيراجع أرصده ويكتشف أن بينها شيكات كثيرة مزورة وأن فيها عملات غير قابلة للتداول . وقد يجد بين هذا كله شيئاً ثميناً غالياً لم يتخيله يوماً بهذه القيمة .

إننا ندرك قيمة الأشياء أكثر كلما ابتعدنا عنها .

مع أن الشتاء يحمل كل هذه الأشياء الجميلة فإنه كثيراً ما يحمل مع الذكريات ألماً . ويحمل مع الدفء فراغاً ، وإن كان أسوأ ما فيه أيضاً ألا نشعر بالدفء فيه لانقطاع التيار الكهربائى . . وتتعطل خطوط التليفونات فتقطع صلتنا بمن نحب ومن لا نحب . . وتمتلئ الشوارع بالمياه ويغرق فيها كل شىء . .

المهم أن الشتاء هو الفصل الوحيد الذى يعطينا الفرصة راغبين
أو مكرهين لتراجع ميزانية العام ربحاً أو خسارة . . إنها عملية الجرد
السنوى نعرف منها ماذا أخذت الأيام منا . . وماذا أبقت لنا . .
وهذا شيء مطلوب . .

على غير موعد

قالت : ماذا أخذت من الحب . . ؟

قلت : جراحا كثيرة . . ورصييدا من الأحلام أقل مما تتصورين . .
لقد أخذ منى الحب سنوات طويلة . . ولم يترك فى القلب
شيئاً غير ظلال من الحزن تراودنى من حين إلى حين . .

قالت : وهل يعيش الإنسان بغير الحب . . ؟

قلت : إذا أحببنا تألمنا . . وإذا عشنا بدون الحب تصبح الحياة
بلا لون ولا طعم ولا رائحة . .

الحب حركة . . والحياة بدون الحب هى السكون . . وأنا أفضل
الحركة على السكون حتى ولو كان الألم فيها .

قالت : ولكن الناس لا تؤمن الآن بالحب . . لقد تغير شكله
ولونه . . وأصبح شيئا غريباً علينا . . لم يعد ذلك
الإحساس الصادق الذى يملأ حياة الإنسان ويثرى خياله
ويخلق به إلى آفاق من السمو والترفع والجمال . .

قلت : لم أفقد إيماني بأن الحب موجود بيننا في ظل الصواريخ
وأجهزة الكمبيوتر ودفاتر الشيكات . . سيبقى الحب رغم
كل المتغيرات التي طرأت على حياة الإنسان . .

لقد أصبح إنساناً غريباً . . يتصور أن كل شيء قابل للشراء . .
حتى المشاعر في هذا الزمان تباع وتشترى . .

قد يملك الإنسان أرصدة الدنيا ولكنه لا يستطيع أن يشتري
إحساساً صادقاً . . قد يتصور الإنسان أنه يستطيع بدفتر شيكاته أن
يحول مقدرات الدنيا ويتحكم فيها . . يحب من يحب . . ويجرح من
يجرح . . ويشترى من يشتري . . ويأمر فيطاع . . ويطلب
فيجاب . . يتصور الإنسان في زهوة ماله أنه قادر على كل شيء وفجأة
يكشف أنه اشترى كل شيء وعجز على شراء قلب يحبه . .

سيظل الحب منطقة يتساوى فيها الجميع القادرون وغير
القادرين . . ممن يملكون . . ومن لا يملكون . . سيظل أكبر من
أجهزة الكمبيوتر . . والصواريخ العابرة للقارات لأننا في النهاية
بشر . . ولنا قلوب . . ومشاعر . .

قد نعطيها أجازة . . قد نحيلها إلى المعاش . . قد نودعها في
صندوق صغير ونلقى بها في وسط المحيط . . قد نحاول النسيان . .
ونبتعد . . ونتصور أن كل الأشياء تغيرت . . وفجأة نشعر أننا ما زلنا
نجنس ونتألم ونحب . .

أنا لا أخشى على مستقبل الحب في هذا العالم فهو الضمان الوحيد
بأن الإنسان لن يفقد آدميته . .

قالت : ولكنك تتحدث عن أشياء لا وجود لها الآن . . لقد تغيرت
مقاييس الأشياء . . الحب الآن لا يتجاوز اللحظة التي
يعيشها الإنسان . . أصبح سريعاً جداً مثل إيقاع الحياة
التي نعيشها . . إنه يحمل كل جراثيم هذا الزمن . .
السرعة . . اللامبالاة . . عدم الصدق . . الحساب في كل
شيء حتى في العواطف . . كل إنسان يقول للآخر ماذا
أخذت وماذا أعطيت . .

قلت : الحب في رأيي لا يقاس بالزمن . . ليس عيباً أن يصبح إيقاع
الحياة سريعاً . . قد نلتقي للحظات ولكنها تظل محفورة في
الأعماق . . وقد نعيش شهوراً وسنين ولا يبقى منها شيء في
الذاكرة . . فالسرعة ليست ذنباً . . إنه إيقاع الحياة الذي
يفرض علينا أن نسرع حتى لا نسقط تحت الأقدام . .
فالكل يجري . . وإذا توقفنا سقطنا . . وإذا سقطنا التهمتنا
الأقدام ولن يرحمنا أحد . .

الإنسان وليد زمانه . . والحب أيضاً ابن شرعى لعصره . . ولكن
المشكلة ليست السرعة . . ولكنها الصدق . . يكفيني دقائق مع من
أحب . . شرطى الوحيد أن أشعر فيها بصدق اللحظة . . وصدق

الإحساس . ماذا يفيدنى إذا عشت مع من أحب سنين طويلة وكل
منا فى حياته لا يكاد يعرف شيئاً عن الآخر . .

قالت : أمازلت تشعر برغبة فى الحب . . ؟

قلت : فى بعض الأحيان تصبح المشكلة فى داخلنا وليست فى
خارجنا . . ليس المهم أن نجد من يحبنا . . ولكن المهم أن
تشدنا مشاعرنا إليه . . المشكلة ليست فى الطرف الآخر
ولكنها فى داخلنا . . قد تجد من تحبه . . ولا يحبك . . وقد
تجد من يحبك ولا تحبه . . فالتوقيت قضية مهمة فى
الحب . . قد يأتى حينها نذهب . . وقد نذهب حينها
يجى . . إنه مثل حركة القطارات، المهم أن يلتقى المسافرين
فى وقت واحد . . وعلى محطة واحدة . . فقد يهبط أحدهما
فى لحظة يغادر فيها الآخر . . وقد يلتقيان على غير موعد . .
وقد لا يلتقيان أبداً . .

وهذا هو الحب . مصادفة تأتى بدون ترتيب وعلى غير موعد . .
ثم ترحل أيضاً بدون إنذار . . وعلى غير موعد . .



البحث عن المستحيل

قالت : هل كنت تحب في كل ما كتبت . . هل كانت هناك امرأة وراء كل قصيدة . . وهل يتسع عمرك لكل هذه التجارب ؟
قلت : لا أعتقد أنني كنت أحب في كل ما أكتب ولكنني أبحث وأحاول . . وليست كل قصيدة عندى امرأة . . فالمرأة أكبر من كل القصائد . ولكنني كنت في رحلة بحث دائمة عن حلم تصورته يوماً ورسمته في خيالي وكلما لاح لى ضوء اقتربت منه واكتشفت الحقيقة .

قالت : وماذا كنت ترى ؟

قلت : بعض السراب . .

قالت : معنى هذا أنك ستقضى حياتك كلها في بحث دائم لن يوصلك لشيء غير السراب .

قلت : ولن أمل من البحث . .

قالت : وأى شيء ذلك الذى يستحق أن تضيق فيه عمرك في البحث عنه .

- قلت : أصحاب الأحلام الكبيرة لا تهمهم متاعب الرحلة ..
ولكن المهم أن يصلوا ..
- قالت : ولكنك حاولت ولم تصل ..
- قلت : سوف أحاول مرة أخرى ..
- قالت : وإذا لم تصل ؟
- قلت : يكفيني شرف المحاولة ..
- قالت : أنت إنسان واهم وحالم وربما مجنون ..
- قلت : الجنون ألا نحلم ..
- قالت : وما هو الحلم .. ؟
- قلت : أن أتصور عالماً أفضل ..
- قالت : وإذا تحقق الحلم .. ؟
- قلت : بحثت عن حلم جديد ..
- قالت : تقصد امرأة أخرى ..
- قلت : يا سيدتي أنا لا أبحث عن امرأة ، أنا أبحث عن عالم متكامل متناغم أعيش فيه .. وأحد جوانبه امرأة ..
- قالت : ولكنك قلت يوماً أن الدنيا عندك امرأة ..
- قلت : هذه حقيقة إن وجدت هذه المرأة ..

قالت : أو لم تجدها حتى الآن ؟

قلت : ولن أجدها ..

قالت : لماذا .. ؟

قلت : لأنني أبحث عن شيء لا وجود له .. لقد وصلت إلى هذه

الحقيقة . إنني أبحث عن حب لا يموت .. وكل الأشياء

تموت .. أبحث عن وفاء يدوم .. وكل الأشياء تنتهي ..

أبحث عن لقاء لا ينقطع وكل اللقاءات إلى زوال .

هل لديك امرأة تضمن لي كل هذا .. ؟

قالت : إنك تبحث عن المستحيل ..

قلت : وهذه مأساتي ..

سخرية القدر

جمعنا لقاء عابر بعد سنوات افراق طالت . .

كنت أريد أن أقول لها أن الأيام بعدك تشابهت وأصبحت أغنية
مكررة عملة وثقيلة . . وأن الوجوه تشابهت وفقدت ملامحها ونبضها
وبساطتها . . وأن حياتي صارت كالساعة الكهربائية التي تسير دون
توقف . . ولا أملك إلا أن أسير معها . .

كنت أريد أن أقول لها أنني فتشت عنك في كل امرأة عابرة . .
فتشت عن عيونك . . وأيامك . . وعطرك وثرثرك وأحلامك التي
لا تتحقق وأمانيك التي شردتنا في أرض الله . .

كنت أطارد وجهك في كل الوجوه وأشم عطرك وتفصلني عنك
آلاف الأميال .

كنت أريد أن أقول لك أن الزمن عندي شيء غير ما اعتاده
الناس . . الزمن عندي ليس بأيامه الطويلة أو سنواته المسرعة . .
الزمن عندي هو تلك الأيام التي عشتها معك . . لقد أسقطت كل
السنوات الجذباء التي افترقنا فيها . . لم أحسبها في دفتر أيامي . . ولم

أذكرها .. ولن أذكرها فهي لا تساوى شيئاً عندي .. حتى
التذكر ..

كنت أريد أن أقول لك أن الناس تحسب الأعمار بالسنين وأنا
أحسب الأعمار بلحظات الحب .. فالسنين كثيرة وطويلة ومغرية ..
ولكن الحب أصدق لحظات أيامنا ولذلك يعيش .

كنت أريد أن أقول لك أن سنوات الفراق لم تفعل بقلبي ما فعلته
بقلبك .. لم تغيرني كما غيرتك .. لم تجعل ملامحي شاحبة
وهزيلة .. لم أسكنها بعيداً في عالم من الزيف والمظهرية الخادعة ..
ما زلت أنا .. هذا الطفل المتشرد المجنون الذي أحبك وراهن بعمره
من أجل هذا الحب .. ما زلت هذا الإنسان الحائر الذي جعلك حلماً
وإن لم يتحقق .. وجعلك بيتاً جميلاً وإن لم يسكن فيه ، وجعلك
قصيدة شعر خالدة ولو أصبحت مجرد ذكرى عابرة في حياتك
المجتهدة ..

كنت أريد أن أقول لك أن في الأرض رجالاً كثيرين ونساء
أكثر .. ولكن الذي يعنيني ليس عدد النساء والرجال فأنا لا يعنيني في
الأرض كل نسائها .. ولكن يعنيني فقط امرأة أحبها . هي عندي
بكل نساء الأرض ، وقد كنت أنت تلك المرأة التي أحبتها ..

كنت أريد أن أقول لك أنني كنت أراك في كل وجه عابر
أمامي .. رأيت من وجهك شيئاً في كل الأشياء .. في المقاهي

والمطارات والسفن والشوارع المقدسة ، وفي لحظات الألم القاتل
ولحظات السعادة المثقلة . . كنت أرى من وجهك شيئاً يذكرني بك
وإن لم يحمل أوصافك أو ملامحك .

كنت أريد أن أقول لك أن المرأة مخلوق عجيب . . فهي تبحث
عن الحب وإذا وجدته هربت منه . . لأن المرأة تفضل سجنًا صغيراً
وترفض قصرًا كبيراً . .

كنت أريد أن أقول لك أنني أحبك بأعلى صوتي . . فما زلت
سابحة في دمائي . . وما زلت واقفة في آخر كل طريق أسلكه . .
كأنك ظلي . . أوقدرى . . أو سنوات عمري . .

كنت أريد أن أقول لك أنني اشتقتك بعد سنوات الترحال
والسفر . . وأنتك ما زلت لم يتغير فيك شيء بجنونك ورقتك
وسداجتك المفتعلة .

كنت أريد أن أقول أشياء كثيرة ولكنني لم أستطع . . فقد كنت
مشغولة بالطعام . . وكان زوجك يراقبني من بعيد وكنت أراه يضحك
أحياناً . . وهو ينظر إلى من بعيد . .

هل كان يضحك علينا . .
أم يضحك على نفسه . .
أم يضحك على سخرية الأقدار . .
لا أدري . .

مع العام الجديد .. دعونا نحلم

قالت : ماذا تمنيت وأنت تودع عاماً راحلاً .. وتستقبل عاماً جديداً ..

قلت : تمنيت أن أرى الأمل ابتسامة في عيون أطفالنا .. وأن تعود أحلامنا كما كانت مشرقة في ظلام أيامنا ..

تمنيت أن نعود لإيماننا القديم بأن قيمة هذه الأمة في عقلها .. ووجدانها .. وإيمانها .. لأننا حينما فقدنا الإيمان .. ضاعت منا القدرة .. وحينما تراجع فينا العقل .. فقدنا البصيرة .. وحينما تهاوى الوجدان نسينا طريق الرحمة ..

تمنيت أن تشرق في أعماقنا مرة أخرى كلمات نسيناها .. إن يد الله مع الجماعة .. لأننا حينما تشرزمنا ضعفنا .. وحينما ضعفنا خسرنا .. وحينما خسرنا ضاعت قدرتنا على الحلم ..

تمنيت أن تخففى أشباح الدماء التي أغرقت عالمنا العربي سنوات طويلة .. لأن الدماء تلد الدماء .. ولأن القسوة هي الطريق إلى العنف .. ولأن العنف هو أكبر أعداء الحياة ..

إن الدماء التى سالت على وجه الأرض العربية أكبر خطيئة
ارتكبها الإنسان العربى فى تاريخه الحديث . . لقد شربنا دماء بعضنا
البعض ولم نشبع . . وهذا منتهى الضياع . .

الدماء المسلمة المؤمنة التى تدفقت على امتداد الساحة العربية
والإسلامية ما كان ينبغى لها أن تسفك بأيد عربية أو أيد مسلمة . .
ولكن هذا قدرنا أن نعيش زمان الدم البرىء . .

تمنيت أن يدرك حكامنا أن السلطة لا تدوم وأن الشعوب هى
الباقية وأن بناء الحلم أجمل كثيراً من دفنه . . وأن أغاني الأحياء أفضل
كثيراً من مرثيى الموتى . . وأن السجون لا تصنع الإنسان . . ولكنها
تقتل كل شىء فيه . .

تمنيت أن يدرك حكامنا أن استثناس الشعوب قضية يصعب
تحقيقها فى زماننا الحديث . .

وأن الكبت يولد العنف . . وأن الصمت قد يستمر بعض الوقت
ولكنه لا يمكن أن يدوم لآخر العمر . .

تمنيت أن تدرك الشعوب دورها فلم يخلقها الله تعالى لكى تأكل
وتشبع وتنام ؛ لأن العقل حينما يتراجع يفقد الإنسان مقومات وجوده
وكيانه . .

تمنيت أن يعود الحب كيانه حياً نابضاً فى حياتنا من جديد . . لأن
الحب حينما غاب عنا فقدنا كل قدرتنا على العطاء . . وتسربت

أمراض الأنانية إلى ذواتنا فأصبحنا لا نرى في العالم شيئاً غير حدود
نفوسنا الضيقة . .

وبدأ العالم يصغر في عيوننا شيئاً فشيئاً حتى أصبح لا يجاوز حدود
أصابعنا وأنفاسنا . . وخفقات قلوبنا المتكاسلة . .

إن الحب يعلمنا حلاوة العطاء . . وصدق السريرة ونبل
المشاعر . .

إنه يعلمنا الرحمة . . في زمان تقتل فيه الأم ابنها . . ويقتل فيه
الابن أمه . . لأن أكبر مآسى هذا الزمان أن الرحمة أصبحت ضعفاً
غريباً قليلاً ما نراه . .

تمنيت أن يجمع الله شتات مشاعرنا المبعثرة على حلم واحد وقضية
واحدة . . لقد كان أعظم ما فينا أننا اجتمعنا يوماً تحت ظلال قضايا
آمننا بها . . وأعطيناها أعمارنا وأموالنا . . وشبابنا . . وحينها غابت
قضايانا ففقدت الأشياء بريقها . . وفقدت الحياة مبرراتها . . ولم نعد
ندرك قيمة العمر . . والزمن . . والحياة . .

تمنيت أن يعود الإنسان العربى إلى تماسكه القديم بعقل
عائب . . ووجدان متماسك . . وأن يتخلص من كل الأمراض التي
نسربت إلى حياته فأصبح إنساناً بلا حلم وبلا قضية . . وبلا موقف
من الحياة والأشياء . .

تمنيت أن أرى المثقف العربى أكبر موضوعية فى مواقفه وأكثر نزاهة
فى أحكامه . . وأكثر ترفعا فى خصومته وأكثر إيمانا بقضيته . .
تمنيت أشياء كثيرة مع مطلع عام جديد . . ورحيل عام نطوى فيه
دفاترنا . .
وما أسرع ما تمضى بنا الأيام . .



الحب .. والاختيار

جلسنا نحكى معاً في مدخل الفندق العتيق .. كان ينتظر حبيبة
لم يرها منذ سنوات .. كان يقول لى : ربما نسيت ملامح وجهى ..
لا أدري كيف أصبحت الآن . قالت لى فى رسالتها الأخيرة أن وزنها
تغير .. وتهد صديقى وهو يقول : الشئء العجيب أننى لم أغير .
جلست أرقب حيرة صديقى وعينيه الزائغتين فى بهو الفندق وهو
يتحرك بكل مشاعره مع كل امرأة قادمة يتخيلها حبيبته .. رغم أنه
تجاوز الأربعين .. إلا أن حيرته وقلقه ذكرانى بعمرى وأنا فى
العشرينات .. يوم أن كان القلب قلباً .. وكان الإحساس
إحساساً .

سألت صديقى : منذ متى لم ترها .. ؟
قال : سنوات طويلة بيننا .. سبع سنوات كاملة لكن هذه
السنوات لم تغير فينا شيئاً ، ما زالت فى عيني كما كانت ..

ابتسامتها .. عذوبتها .. جنونها .. كل هذه الأشياء التي أحببتها
فيها لا أرى شيئاً غيرها ..

قلت : أجمل الأشياء أن نحافظ على الملامح الجميلة لمن نحب .
في أحيان كثيرة نهدم كل الأشياء على رؤوسنا قبل أن نرحل ..
وأجمل الأشياء أن تترك البيت بكل الأشياء الجميلة فيه قبل أن تهجره
لا ينبغي أن نحول قصورنا الجميلة إلى أنقاض قبل أن نرحل عنها ..
إن ذلك يذكرني بدمار الحروب .. التي تقتل كل شيء في
الإنسان .. ونحن حينما نكره ندمر كل شيء .. ولا أدري لماذا تنتهي
كل قصص الحب العظيمة بقصص انتقام أعظم ، هل هي أنانية
الإنسان الذي لا يطيق أن يرى امرأة أحبها في يد غيره ..

قليلاً ما تنتهي قصص الحب بصداقة عظيمة .. إنها أنانية
الإنسان . المرأة تدمر حبيبها قبل أن يتركها .. والرجل يدمرها قبل أن
ترحل عنه .. ولا يبقى شيء خلفهما غير الدمار

قال صديقي : لم أغير رأبي فيها .. لم نعد نلتقى .. وأيضاً لم
نفترق وظل كل منا يحافظ على مشاعره .. هي بعيدة وأنا بعيد ..
أحياناً كنت أتصل بها لأسأل عنها .. لم أنس أن أرسل لها بطاقة
صغيرة مع عيد ميلادها .. لم أنس في كل عام أن أبعث باقة ورد
صغيرة في نفس اليوم الذي التقينا فيه لأول مرة ..

إننى لا أحبها جسداً ولكننى أحبها روحاً . . أرى فيها عالماً كبيراً
واسعاً وليس مجرد بيت صغير أملكه . . أرى فيها حديقة كبيرة وليست
مجرد وردة ألقها بعد أن تذبل أوراقها . .

قلت : مشكلة الإنسان أنه أحياناً يرى الحب نوعاً من التملك . .
وهو عادة يفكر فى تلك الملكية التى تعطيه حقوقها على ورق . . وهذه
مأساة أن تملك الشيء وأنت لا تملك فيه شيئاً لأن زمان ملكية الإنسان
قد انتهى .

ما قيمة أن تضع الإنسان فى قفص صغير وتغلق عليه كل الأبواب
وتقول له هذا هو الحب . . أجمل ما فى الحب هو الاختيار لأن أساس
الاختيار أن يظل لكل إنسان حقه فى الاختيار . أن يبقى من حقه
القبول أو الرفض ، لا يعينى أن أملك نساء الأرض جميعاً ولكن أكثر
ما يسعدنى أن تختارنى امرأة واحدة دون كل الرجال وأن أختارها هى
دون كل النساء ، أن أراها لأننى أريد أن أراها . . وأن ترانى لأنها
تشعر برغبة فى أن ترانى . لا أحب أن أراها لأنها تملكنى ولا أحب أن
ترانى لأنها تحمل ورقة تعطىها هذا الحق .

قال صديقى : مأساة أن يصبح الحب ورقة صغيرة تعطى
لشخص الحق فى ملكية عمر شخص آخر . الحرية هى أساس
الحب . . لأنها أساس الاختيار والحب هو الاختيار .

كان الوقت قد مضى . . وصديقي ما زال يحدق في باب الفندق
ينظر إلى كل قادم . . وكان الحديث شجياً وجميلاً . . قطعه صوت
أقدام تقترب منا . . وعيون جمعها شوق طويل وأيد تتصافح شعرت
بجاراتها تلفح وجهي . .

زمن الأحلام الفقيرة

فجأة أجد نفسي يا حبيبتي في عينيك . . أنسى سنوات العمر
التي تترك بصماتها كل يوم على وجهي . أنسى أيام الخريف التي لم تبق
غير بضع شجيرات صغيرة خضراء في صحراء أيامي . .

ما الذي يجعلنا أحياناً نفقد القدرة على الحركة رغم أن أقدامنا
تسير . وأيدينا تتحرك . .

كثيراً ما شعرت أنني واقف في مكاني . . وأن ملاعبي تجمدت وأن
عضلات جسمي فقدت كل مقومات تكوينها . . وأنني أرى الأشياء
ولا أراها . وأسمع الأصوات ولا أسمعها .

كل شيء يدور حولي ويتحرك ولكنني أشعر أنني فقدت القدرة
على الحركة هل هو عجز الإرادة . . أم قيود الزمن . أم سراديب
الإحباط التي تبتلع أيماننا يوماً بعد يوم .

فجأة أجد نفسي يا حبيبتي في عينيك . كنت قد نسيت حلماً
قديماً أودعته جانباً وأسدلت عليه الستار . قد لا نجد الأمان في

أوطاننا . . وقد لا نشعر بالسعادة مع أنفسنا . وقد لا نجد شيئاً يأوينا
من صقيع زمائنا . . ولكننا نجد الحلم والأمان والراحة . . في عيون
من نحب . .

. والحب أصبح سلعة « مزورة » في معظم محلاتنا العاطفية . كل
شركات الإنتاج العاطفي تطرح منتجاتها وللأسف كلها منتجات
ردیئة . .

فالسوق ملء بأنواع الحب حسب المواصفات المطلوبة . . وكل
شئ بحساب . أصبح الحب سلعة في بورصة الأوراق المالية . . كل
شئ فيه يحسب بالربح والخسارة . وماذا تأخذ وماذا تعطى ؟ . وكم
سيبقى وكم سيضيع ؟ . ويصبح الناس في سوق الحب يتبادلون
الانتهامات ويوزعون الشتائم ، كل يقول للآخر : « أفنيت عمري
معك » . « أخذت مني وأعطيتك » ، « فماذا أخذت » . . « وماذا
أعطيتني » .

تلوثت كلمات الحب وابتذلها سماسرة الأوراق العاطفية . ولم نعد
نفرق بين الأوراق الصحيحة والأوراق المزورة .

. لهذا يجب أن تجعل من نفسك خبيراً قبل أن تدخل سوق الحب
حتى لا تخرج من السوق بمجموعة من أوراق البنكنوت المزورة .

كنت دائماً أشعر أن مساحة صغيرة ما زالت باقية عندي لم تخضع
بعد لقوانين العرض والطلب . لم أحاول أن أضع مشاعري موضع
تقييم أو ترقيم أو حساب .

قد يتراجع الإنسان أحياناً أمام ضرورات الحياة ويفقد بعض
تماسكه . قد يفرض عليه زمان القهر أن يحنى رأسه حتى تعبر العاصفة
ولكى لا تسقط رأسه بين قدميه . ولكن أصعب الأشياء أن يجد نفسه
معروضاً للبيع في سوق الأوراق العاطفية . وتدور مضاربات السوق
السوداء والكل يريد أن يبيع ويقبض الثمن في نفس اليوم .

فجأة أجدني في عينيك يا حبيبتي أتأمل نفسي وزماني وعالمى .
عالم واسع فسيح أخاف كل بقعة فيه فقد ينام تحت شجرة الياسمين
ثعبان كبير . أشعر أنني مطارد من زمان لا يعنيه إطلاقاً تطبيق
القانون . فلم أرتكب جريمة غير الدعاية للحب . والحب عملة غير
قابلة للتداول ، وتعاقب السلطات المسؤولة وغير المسؤولة كل من
يحملها . . إننا نعيش زماناً يبيع الخمر والمخدرات ويفرض
العقوبات ويسن القوانين وينشئ أجهزة لمكافحة الحب .

وجدت نفسي في عينيك . لأول مرة يفارقني إحساسى القديم
بالخوف .

والخوف إحساس متوارث ورثناه عن آبائنا وأجدادنا . . فنحن

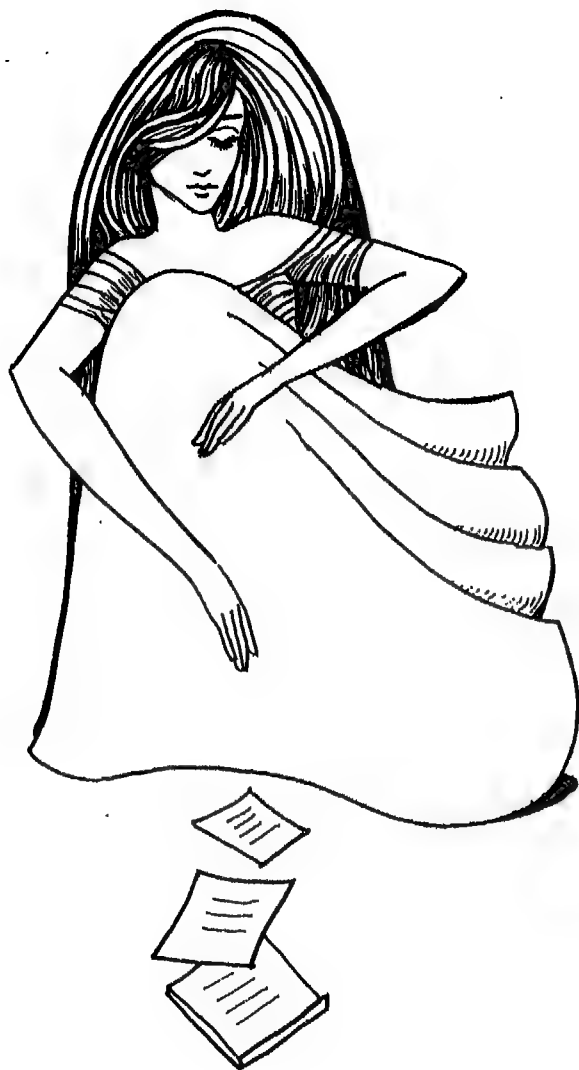
نخاف كل شيء حتى أنفسنا فربما نكتب تقريراً سرياً لأجهزة مكافحة
الحب عما يدور في أعماقنا حينها نحب .

لأول مرة أتنفس هواء نقياً . . كنت دائماً أطوف شوارع مدينتنا
المعتمدة وأشعر أنني أختنق . لقد وجدت في عينيك عالماً فسيحاً من
النقاء والطهر . وأدركت مأساة الإنسان حينها تكتب عليه أقداره أن
يعيش زماناً موبوءاً ، كم تتسع الأرض وكم تضيق . . وكم تنقلنا
الأشياء من الأشياء . أنقذتني عيناك من زمانى الموبوء .

قد يكون الواقع مرّاً . . وقد تحجب السحب الكثيفة ضياء
شمسنا وتخنق أشعتها . . ولكن يكفى أن أرى في عينيك ابتسامة غد
جميل . . وأحلام حياة أكثر إشراقاً . .

إن مجموعة من الابتسامات تصنع حديقة من السعادة . .
ومجموعة من القلوب المحبة تخلق عالماً فسيحاً من الحب .

وقد يطول الحلم وقد يقصر وقد يتحقق وقد لا يتحقق ولكن
يكفينا أننا حاولنا وحلمنا في زمن الأحلام الفقيرة .



هل تجمعنا الأيام ؟

قالت وأنا أودعها ذات مساء حزين :

هل تجمعنا الأيام مرة أخرى ؟

قلت : لولا الأمل ما تحملنا كآبة الحياة . . إنه الشمعة الوحيدة التي
تضيء عيوننا . . حينما تظلم كل الأشياء . .

كنت أعلم أن لقاءنا يبدو كسحابة بعيدة . . لن تتوقف
مسيرتها . . وأن قدرنا أن نجرى وراءها نطاردها . . نحاول أن نراها
من بعيد . . نسقط أحياناً . . ونقف أحياناً . . ولكننا نعدو خلف
هذه السحابة . نرى فيها كل الأشياء . . نرى الحب فيها . . ونرى
العطاء والأمن والمأوى . . لم يكن باستطاعتنا أن نصعد إليها . . وهي
لن تهبط من مسارها البعيد . .

قالت : ربما تنسيك الأيام أننى أحببتك يوماً . . زحمة الأشياء تنسينا
أحياناً قيمتها .

قلت : يوم معك أبيع من أجله سنوات طويلة من عمرى . . الأيام
ليست بأعدادها . . الأيام بجهاها . .

ماذا تساوى ملايين من الأوراق المالية « المزورة » . . سوف تحرق
وتلقى فى صناديق القمامة . وما أكثر الأيام « المزورة » فى حياتنا . .
إنها كثيرة . . . أكثر ساعات الزيف والدجل والنفاق . وما أقل
ساعات الصدق . .

أجمل ما فى الحب صدقه . إننى معك أعرف قيمة صدقى وأعرف
أيضاً كم يسرق الزيف أياماً طويلة من عمرى . .

إننى سوف أذكرك دائماً لأننى كثيراً ما أشتاق صدقى .

قالت : ولحنك شاعر . . والمرأة عندك قصيدة . .

قلت : ليست المرأة عندى قصيدة . . إنها نقطة ضوء أجرى خلفها
كلما اشتد الظلام حولى . . أجد فيها الأمن والمأوى .
والضوء ينير لنا أحياناً . . ولكنه كثيراً ما يحرقنا . .

والمرأة عندى ضوء وحريق . . كثيراً ما تضىء لكى تحرق رغم أن
الله خلقها لتكون ضوءاً . . لكن الزمن علمها أن تجمع الفراشات
حولها وكثيراً ما تزهر بالضحايا .

ليست المرأة مجرد قصيدة عندى . وساعة مع امرأة أحبها أجمل
عندى من كل ما كتب الشعراء . . إننى أكتب الشعر لأننى عاشق
وليس لأننى شاعر . . فما أكثر الشعراء . . وما أقل العشاق . أجمل
ما فى العشق الصدق . . وأجمل ما فى الصدق . . الشعر . . إن
الصدق يجعل منا شعراء . . ولكن الشعر لا يخلق فينا الصدق .

قالت : المسافات بيننا بعيدة .. كلانا غريب .. وكلانا لا بغف
لنفسه أرضاً أو زماناً ..

قلت : الحب لا يعرف الأوطان .. والشوق لا يعرف حدود
الأشياء .. سوف أشتاقك ولو فرقت بيننا بحار الدنيا ..
وسوف أحبك وأنا هنا .. وأنت هناك .

سوف أراك بأشياء أعمق من عيني . وسوف أحسك بأشياء
أصدق من حسي .. سوف ألقاك وإن كنت بعيدة .. وأسمعك
وليس بيننا كلام .. وأشم عطرك وإن كنت خارج حدود الأرض ..
كان المساء حزيناً .. وكان وجهها شاحباً .. وكانت الشوارع
الخالية تذكرني بساعات الوحدة التي تتلففني من بعيد ..

كان قلبي ينزف في داخله .. والأمانى تترنح في أعماقه ..
وكنت أسأل نفسي ولا أريد أن أسأله ..

هل تجمعنا الأيام مرة أخرى ؟

وغاب السؤال في أعماقنا .. وما زلنا ننتظر .

لماذا كل هذه الأحزان ؟

كان وجهي شاحباً .. وكان وجهها شاحباً .. والمكان حزين ..
كانت الأشجار تقف مصلوبة فوق الطرقات وفي الأركان وخلف
المبادين ..

كان الشتاء يوشك على الرحيل .. وبعض الأوراق الخضراء
تتسلل وسط الأخشاب الجافة في لحظة انتظار حائرة .

كان في عينيها حزن عجيب .. وفي أعماقي حيرة وسؤال .. لماذا
كل هذه الأحزان ؟ لم أستطع أن أعثر على كلمة واحدة تدلني على سر
حزني العميق وأنا معها .

كل الأشياء التي أحبينها حولنا ..

كل أشواق الأيام الطويلة التي أنتظرناها ما زالت في أعماقنا .

كل المسافات الطويلة .. والبلدان البعيدة التي تركناها
خلفنا .. كل هذه الأشياء كانت تؤكد دائماً لنا أننا اخترقنا عشرات
الحواجز لكي نعيش هذه اللحظات . ها هي لحظتنا القليلة التي ..

انتظرناها تجمعننا .. ولكن الحزن خيم علينا .. وعليها . لم أستطع
أن أسألهما بعد أن سألت نفسي : لماذا كل هذا الحزن ؟

ترى هل حملنا معنا عند رحيلنا أحزان أيامنا . تلك التي كنا
نحاول أن نلقيها خلفنا .. هل حملنا معنا في حقائب أسفارنا هموم
أوطاننا ومواقع زماننا الحزين .. ؟

كل هذه التساؤلات دارت في رأسي .. ولكنني لم أجد تفسيراً
يقنعني بالحزن الثقيل الجاثم على قلبي .

سألتني عيناها : لماذا أنت حزين ؟

ولم أستطع أن أجيبها .. لأنني لا أعرف ..

حاولت أن ألقى عليها بالسؤال نفسه .. ولم تصلني الإجابة ..

حاولت أن أتواءم مع نفسي وأقول أن الحزن جزء منا .. هو جزء

منى .. وجزء منها ..

إنها كثيرة الأحزان مثلى .. أيامها وعمرها وضياعها .. كل هذا
لم يحمل لها غير ساعات فرح قليلة .. وأنا مثلها سافرت في بلاد الله
شرقاً وغرباً .. أبحث عن قلب ضائع وفي كل مرة كنت أعود وبعضى
جراح .. في كل مرة كنت أترك بعض عمري خلف الجدران وفوق
أرصفت الطرقات : . فما أكثر الأقدام التي عبرت ..

ولكن جرحنا التأم حينما التقينا ..

ودعنا كل أحزان السنين الماضية .. أصبحت أراها كل
شيء .. وترانى كل شيء .

أصبحت أسافر معها كثيراً فى أعماقى وداخل نفسى ..

صارت أيامى معها هى الواحة الصغيرة التى أجمع فيها شتات
نفسى وأشعر أن الزمن الذى خاصمنا كل هذه السنوات قد عاد
يصافحنا مرة أخرى .

لقد تناثرت فى صحراء أيامى كما تتناثر حبات المطر فتركت حولها
أشجاراً ونخيلاً وظلالاً .. ورغم هذا كنت أخاف على هذه الأشجار
الصغيرة .. إن الصحراء غادرة .. فالرمال تزحف أحياناً وتلتهم
حبات المطر .. ولأن الأشجار كثيراً ما تموت واقفة ويطوف الناس
حولها يتذكرون أياماً وعمراً وحكايات .

كنت دائماً أخشى على أشجارنا الصغيرة من عواصف الأيام
وتقلبات الدهر . ولهذا كنت أخاف من موجات الحزن التى تتسلل
أحياناً إلى داخلى .. كان الحزن يزورنى كثيراً وهى بعيدة ..

وكنت أقول لنفسى .. إنها الأشواق تفعل بنا ما تشاء ..

ولكننى هذه المرة كنت حزيناً وأنا معها ..

قليلة تلك المرات التى شعرت بهذا الحزن وأنا معها ..

قليلة تلك السحابات السوداء التي عبرت في أعماقي من يوم أن
عرفتها .. وكانت مثل حزينه رغم أنها عاشت تنتظر هذه
اللحظات ..

لم يعرف كل منا أسباب حزن الآخر .. كانت الساعات تمضي
كثيرة موحشة في لحظات تساؤل وحيرة ..

وافترقنا وأنا لا أعلم سر حزنها .. وهى لا تعلم سر حزنى ..
وبعد أن تركتها .. وتركتنى ، عرفنا لماذا زارنا الحزن هذه المرة ..

حساب العمر

قالت : كم عمرك الآن . . ؟

قلت : بضع ساعات . . أنا لا أحسب عمري كما يحسبه الناس
بعدد السنوات . . فالأعمار يجب أن تحسب بالدقائق
والساعات . . فأنا عشت بضع ساعات . .

قالت : أليس من الظلم أن يظلم الإنسان عمره . . فيسقط منه
ما لا يريد . . ويبقى فقط ما يجب وما يريد . . أين
العدل . . هل يعيش ثلاثين عاماً ثم يقول أنه عاش مائة
ساعة فقط ؟

قلت : هناك فرق بين العمر الذي قضاه الإنسان حياً على الأرض
يأكل ويشرب ويشاهد التلفزيون ، والعمر الذي عاشه
الإنسان إحساساً وشعوراً ، إنني أحسب عمري بحجم
الإحساس فيه . والإحساس هو الشيء الذي يفرق بين
الإنسان والحيوان . . بل إنه يفرق بين إنسان وإنسان .

قالت : ولكن العمر هو العمر .. والزمن هو الزمن ، إنك تحاول أن
تضفى على الأشياء شيئاً من خيالك ..

قلت : هناك عشرات السنين يقضيها الإنسان في النوم مثلاً .. إن
الإنسان لو عاش ستين عاماً فمعنى ذلك أنه قضى منها
عشرين عاماً في النوم ، وإذا أضفنا للنوم متاعب
المواصلات .. والطعام .. والحكايات الفارغة ..
ومسلسلات التليفزيون .. والأيام التي تسرقها المكاتب
بدون عمل .. ما بقى للإنسان غير مساحة ضئيلة من
حياته ..

قالت : أنا أحب عمرى كله .. ما أسعدنى .. وما أشقانى ..
قلت : وأنا أحب في عمرى فقط تلك الساعات التي شعرت فيها
بالصدق مع نفسى ومع الآخرين . أكوام هائلة من
الصخور والأتربة يحملها الإنسان على ظهره في مناجم
الذهب والماس قبل أن يصل إلى قطعة صغيرة من الماس ..
ولا يذكر الناس شيئاً عن الصخور التي حملها هذا الإنسان
ويضعون قطعة الماس لتسحر العيون .. الإنسان يحسب
فقط تلك الأوقات التي تركت في نفسه أثراً .

من أسعد اللحظات عند الإنسان عندما يتقدم به العمر أن
يجلس ويسترجع ذكريات عمره . وكلما كان رصيد الذكريات كبيراً ..

شعر أن حياته كانت أكثر قيمة وأكثر ثراء . حياة بلا ذكريات مثل
شعب بلا تاريخ . . مثل حضارة بلا شواهد هي باختصار : شيك
بدون رصيد .

إننى أتمنى أن أجعل من كل يوم أعيشه يوماً أذكره . . فليست
كل الأيام التى نحيها . . نذكرها . .

قالت : تستطيع أن تجعل من عمرك كله أياماً تذكرها ، تستطيع أن
تحب . . وتحلم وتعيش . . كما تريد أن تعيش .

قلت : قد يبدو ذلك شيئاً بسيطاً حينها نتحدث عنه . . ما أسهل
الحب والحلم فى الكلام . . ولكن ما أصعبها فعلاً . . قد
يمضى عمراً لإنسان كله دون أن يجب . . قد نتوهم وقد
نتخيل لوناً من ألوان الحب . . ولكن الحب الحقيقى
لا يعرفه إلا إنسان مارسه وعاشه وتأثر به . . وكذلك الحلم
نطارده سنوات وسنوات وقد نسقط قبل أن نلحق به . . إننا
نقابل فى حياتنا عشرات الوجوه . . ولا يبقى فى أعماقنا
إلا وجه واحد نذكره ، نحفظ فى أجندة تليفوناتنا عشرات
الأرقام . . ولكن الذى يظل فى ذاكرتنا رقم واحد ، وحتى
حينها نحزن نتمنى لو أن شخصاً واحداً يشاركنا هذا
الحزن . . ونحلم عشرات الأحلام وقد نحققها جميعاً
ونعيش العمر تعساء من أجل حلم واحد لم نحققه . .

قالت : أنت إنسان خيالى جداً . .

قلت : مأساة الإنسان الحقيقية أن يفقد القدرة على الخيال . .
والخيال ليس فى الفن وحده . . الخيال فى السياسة
والاقتصاد والمال والشعر . .

سياسى بدون خيال سوف تغرقه مشاكل يومه . . رجل اقتصاد
بدون خيال . . سوف يضيع فى أرقامه . . إن الخيال هو الحلم بشيء
أفضل من الواقع . . والذين لا يفكرون فى غير واقعهم لا يرون شيئاً
غير أقدامهم . . وعادة ما يسقطون . .

قالت : أراك متشائماً . .

قلت : لأننى أحب الحياة . . كنت أريد أن أعيشها كما تمنيت
يوماً . . وما زلت أحاول ولم أفقد الأمل بعد . .

قالت : وما هى الحياة التى تتمنى أن تعيشها . . ؟

قلت : أن أغمض عيني بدون خوف فما أكثر الخوف فى زماننا .



الصاقل من يختار

تذكرتك بالأمس . .

كان صوت فيروز يأتى من بعيد . . يحمل جمال لبنان الغارب . .
وصوتها الحزين . . وليالى شتائها الراحلة . .

كان صوت فيروز يغنى لأزهار أيلول المتساقطة . . وأوراقه
المتناثرة على الطرقات . .

وتذكرتك مع فيروز . .

مجرد أغنية قصيرة . . مجرد كلمات بسيطة تعيد للإنسان عمراً
كاملاً . . إننا نسترجع أعمارنا فى لحظات . . وهذا أعظم ما فى
الإنسان . .

إن من معجزات الخلق والخالق هذه الذاكرة الصغيرة التى اختزن
فى حجراتها وسراياها ملايين الذكريات والمواقف . .

اخترع الإنسان الكمبيوتر . . ربما يجمع فيه بعض الأرقام
والحسابات . . ولكن عقل الإنسان يخزن عمراً بأكمله . . ومع أغنية

بسيطة لا تتجاوز الدقائق يسترد الإنسان عمره . . يشعر بكل المشاعر
التي عاشها وأحسها . .

تنتفض كل الأشياء في داخله . . يسمع أصواتاً تتكلم وعيوناً
تتحاور . . وأماكن تتحرك . .

يشعر الإنسان في لحظة أنه أمتلك عمره مرة أخرى . . استطاع
أن يسترده من قبضة النسيان . .

شعرت وأنا أسمع فيروز أنني أسمعها لأول مرة . . وأنتك
معى . . وأن زماننا في أيدينا . . وأنا لم نكبر . . ولم نتغرب . . ولم
نفترق . .

شعرت أنني عدت أراك كما أراك . . رغم أن آلاف الأميال
فرقتنا . . ومئات السدود قامت بيننا . . تجاوزنا كل هذا . . وعبرنا
صوت فيروز يلقي بالأميال بعيداً . . ويحطم كل السدود ويهدم كل
الحواجز . . عدت أراك كما أنت . . لم تغير الأيام من ملامحك
شيئاً . .

إن الله تعالى خلق لنا العمر . . وخلق معه التذكار . . والشئ
الوحيد الذى يميز الإنسان عن باقى المخلوقات أنه يعيش
بذكرياته . . كل الأشياء نباتاً وحيواناً تعيش يومها . . والإنسان هو
المخلوق الوحيد الذى يعيش عمره .

إنه يتذكر كل الأشياء منذ مولده . . كل صغيرة وكبيرة تأخذ مكانها في وجدانه وعقله . . ويتحول هذا الرصيد الكبير من الذكريات إلى بنك ضخم من التجارب والمعاناة والحيرة والألم .

وحينما يتقدم بنا العمر نجلس وحدنا ونراجع رصيد ذكرياتنا . . ونفتش في دفاترنا القديمة ونراجع أيامنا . . ساعتها فقط نكتشف أننا أغنى الأغنياء . .

إننا قد نملك أموال الدنيا ولا نجد إنسانا نحبه . . ونشعر معه بالأمان . . أحيانا تطاردنا الحياة بمغرياتها وألوانها ومهرجتها . . والعقل من يختار أيامه . .

من يستطيع أن ينتشل من أكوام الزيف لحظة صدق . . من يستطيع أن يجد من بين الآلاف الذين يعرفهم إنسانا جديرا بمشاعره . .

من يختار من يحب . . ومن يختار ما يريد . . إننا في أحيان كثيرة نفقد إرادتنا رغم أنها في يدنا . . تغرينا أشياء عن أشياء . . وتجذبنا أشياء من أشياء . . ونفقد أمام هذا كله قدرتنا على الاختيار .

ماذا نريد من الحياة ..

كان وجه صديقى حزينا شاحبا وهو يسألنى : لماذا تعطينا الحياة أشياء وتسلب منا أشياء أخرى .

إذا أعطتنا الصحة .. سلبتنا المال .. وإذا أعطتنا المال سلبتنا راحة البال .. وإذا أعطتنا راحة البال تركت لنا أشباح الفقر والحاجة ..

قلت لصديقى : أجل الأشياء أن تعطينا الحياة ما نحب .. فإذا وضعت فنانا حقيقيا في موقف اختيار فلن يبيع فنه بكل مناصب الدنيا وكل أموال العالم . إنه يشعر مع فنه أنه يملك هذا العالم بسائه وأرضه ونجومه وبحاره .. إنه يخلق في كل مكان .. ويسبح في كل بحر .. ويطير في كل سماء .. فكيف بالله يرضى سجننا كئيبا يقتل كل شيء فيه اسمه المنصب ..

إن هذا المنصب الذى يتسابق الناس عليه يقتل فى الفنان خياله وأحلامه ونقاءه وصدقه ..

سوف يتعلم في المنصب كيف يضحك وهو حزين . . وكيف
ينافق وهو في أشد لحظات المرارة وسوف يجامل من لا يحب ويصدق من
يكذب عليه ويستشير من لا يعلم وينكر ذاته أمام الجهلاء ويدعى
الجهل أمام الأدعياء .

في المنصب سوف يتنكر الفنان لصدقه وهذه بداية النهاية . .
إن للمناصب رجالاً . . وللفن قلوباً وأرواحاً . . وسوف تجد
آلاف البشر يصلحون للمنصب ولكنك قد لا تجد في شعب كامل
ألف فنان . .

الفنان يمشى بالحياة إلى الأمام . . يحاول أن يصل إلى الأفضل
وصاحب المنصب لا يعنيه الغد كثيراً إنه يفكر فقط في يومه وإذا فكر
في غده فسوف يسأل نفسه : ترى من سيجلس على هذا الكرسي
بعدي . .

والفنان إنسان يحمل قلباً كبيراً وهموماً ثقيلة . . وصاحب المنصب
يلقى قلبه أحياناً في سلة المهملات حتى لا يتذكر خطاياہ فتعذبه . .

إنه يحسب كل شيء . . وأهم حساباته هو طابور المنافقين
والدجالين الذين يقدمون له كل يوم فروض الطاعة والولاء . .

قلت لصديقي : إن كثيراً من الناس يحسدونك على فنك ،
يكفيك هذه القلوب التي تحيط بك وتحبك وتقدرك . .

يكفى أن التاريخ حفظ لنا سيرة كافور وسيف الدولة من خلال
قصائد المتنبي وأن الناس لا تعرف أسماء حكام إنجلترا في زمن
شكسبير . . ولكنها تحفظ أشعار شكسبير . .

إن الحياة تعطى كل إنسان ما يستحق . . فهي تعطى لصاحب
المنصب الجبروت والسلطان . . وتعطى للفنان الحب والمشاعر وتعطى
للتجار المال . . وتعطى للفقراء الصحة وراحة البال . . وتعطى
للأطفال البراءة . . وللشباب القوة . . وللشيخووخة الحكمة ، وكل واحد
سعيد بما عنده . . المهم أن يكون راضياً لأن الرضا هو السعادة
الحقيقية . . فقد نملك أموال الدنيا ونجمع مئات المناصب ونشعر أن
كل هذا لا يكفيننا . . وهذا هو الفقر الحقيقي . .

قلت لصديقي : أنت فنان كبير ويكفيك أنك ما زلت تحمل قلباً
ناصباً في زمن ماتت فيه قلوب كثيرة . .



أيام ثقيلة

ثقيلة أيامى بعدك . .

أشعر أن الزمان توقف بنا . وأننا فقدنا القدرة على أن نعيشه كما
عشناه . . وأن نحبه كما أحبيناه . . لماذا تتغير الأشياء بهذه
الصورة . . الأماكن هي نفس الأماكن . . والأشياء هي نفس
الأشياء . . ولكن إحساسنا بها يتغير . .

فالطريق الذى عبرناه يوماً وعاشت كل ملامحه فى أعماقى أمضى
عليه وحدى فأرى ملامحه باهتة وألوانه شاحبة وأشجاره فقدت
نضارتها . . قد تغيرت كل الأشياء فى داخلى . . فالأشجار هي نفس
الأشجار . . وما زال الطريق هو نفس الطريق . . ولكن الأشياء
بعدك فقدت جمالها . .

نتمنى أحياناً لو أعدنا الزمن . .

تتمنى لو كانت هناك أسطوانة صغيرة نحاول استرجاع نغماتها
لنعيش العمر كما عشناه . .

تتمنى لو كان العمر كتاباً نستطيع أن نستعيد صفحاته ونتوقف
عندها كما نشاء . . نطوى منها ما نطوى . . ونحفظ ما نحفظ . .

ولكن العمر سحابة نراها أمامنا . . تظللنا . . تمطر علينا شيئاً
من مائها . . نغتسل منها . . نتطهر فيها . . وتمضى . . ونحاول أن
نمسك بالظلال الراحلة . . نجرى وراءها وهي تجرى أمامنا . . نعب
البحار والصحارى ، أشواك كثيرة تدمى أقدامنا . . نلهث وراء الظل
الراحل . . نحاول أن نوقفه . . نحاول أن نستعيده ولكننا عادة
نسقط . . بينما تكمل السحابة رحلتها . .

هناك من يدفع عمره مقابل يوم . . وهناك من يرى عمره في
يوم . . فليس العمر بسنواته . . هناك عملات كثيرة نجتمعها بين
أيدينا . . نتخلص منها . . ننفقها ببذخ . . نشترى بها الرخيص
والثمين . . ندفع هنا ونلقى هناك . . نتصرف فيها كالوارث السفية
لا يعرف قيمة ما يدفع . .

ولكننا رغم كل هذا نظل نحفظ في أعماقنا وليس بين أيدينا بعض
العملات النادرة . .

نظل نحفظ بعض أيامنا . . نغلق عليها الأبواب . . نحتويها في
داخلنا . . ننظفها بين الحين والآخر حتى لا تصدأ . . ننزوى بها
أحياناً ونداعبها ونتذكر . .

وربما تخسر كل الأشياء ونشعر مع هذه الأيام القليلة أننا أغنى الأغنياء .

إن المال قد يضيع . . والشباب قد ينزوى . . والجسم قد يعتل وتبقى الأيام الجميلة هي الشيء الوحيد الذى يؤنس وحدتنا حينها تضيع منا كل الأشياء .

ما زلت أعتقد أن أكثر الناس ثراء هم هؤلاء الذين يحملون فى خزائهم ذكريات عزيزة . . إن أفقر الناس إنسان يعيش بلا ذكرى . .

وحينما نجلس مع أنفسنا ونتذكر نشعر أن أشياء كثيرة سقطت منا ولم نسأل عليها . . وأن ما بقى بين أيدينا هو أقل القليل . .

ولهذا أحزن كلما عبر يوم فى عمرى لا أراك فيه . . أحزن عليه بقدر ما تمنيت أن أقضيه معك . .

وأحزن لأننى لا أملك الحق فى أن أراك رغم أنى أراك وأنت هناك بعيدة بعيدة . .

وأحزن لأننى سأعيش أيامى أنتظرك . .

لن أفقد الأمل أبداً فى أن يعيد الزمن دورته رغم أننى أعلم أن الأيام لا ترجع للوراء ولكننى ما زلت أحلم أن نعيش زمانا أجمل من

زماننا الذى عشناه وأن نضيف لرصيد أيامنا ذكريات أكثر جمالاً
ولإشراقاً ..

.. ثقيلة أيامى من غيرك .. بطيئة النبض .. كثية الملامح ..
أعيدى لأيامى نبضها المسافر ..

وجاء الحلم حزينا

ما أجمل الحلم مع إنسان تحبه . . وما أسوأ أن يحقق كل منا حلمه
بعيداً عن الآخر . .

أحياناً يربطنا حلم مع من نحب . . نجتمعنا أمنية . . يشدنا أمل
قد يبدو بعيداً . . ولكن الحب يجعل كل الأحلام والآمال قريبة .

إن الحب هو أكبر بنوك الأحلام . . يستطيع جميع العشاق أن
يقترضوا منه وأن ينفقوا ببذخ . . إنه بنك يقرضك أحلاماً ولا يسألك
أن ترد له الدين . . تستطيع أن تسحب منه على المكشوف . . وتعطيه
شيكات بدون رصيد . . ولن يبخل عليك .

ونجتمعنا أحلامنا مع من نحب . . وأجمل العشاق حبيبان جمعهما
حلم . . لأن الحلم يعنى الغد . . والغد يعنى الاستمرار . . وأسوأ
ما فى الحب انتظار نهايته . .

وتكبر أمام أعيننا الأحلام . . تصبح عمارات شاهقة . .

تصبح ناطحات سحاب تحملنا إلى السماء . . وفجأة تسقط
البحارات وتتحول إلى أنقاض . وتغدو أمام أعيننا بقايا الحكايات
جمعت حولها عشاقا . .

وتفرق الأيام بيننا . .
يسافر كل إنسان في طريقه ، ويصبح كل منا بعيداً عن الآخر
ربما لا يعرف مكانه ولا عنوانه . .
وتمضي سنوات . .

وتحقق حلمك . . تصل إلى ما تمنيت . . ويصبح الأمل
حقيقة . . ولكنك في لحظة سعادتك بحلمك تشعر بلحظة شقاء
عيفة لأنك حققت حلمك وحيداً . .

لأنك حينما وصلت إلى نهاية المطاف تلفت حولك في لحظة تعب
وإرهاق فلم تجد الإنسان الذى حلمت أن تكون معه في هذه
اللحظة . . لحظة الوصول إلى الحلم .
شيء مرهق أن نحلم . . وأكثر إرهاقاً من الحلم أن نصلى إليه
وحدنا .

من أجل هذا تذكرتك مع حلمي . . كان الحلم وحيداً وكنت
مثله وحيداً . . وكانت الشمس في طريقها للرحيل . . وكان الليل
كثيفاً . .

كانت لحظة سعادة كبيرة . . ولحظة حزن عميق . . وقليلًا
ما تجتمع السعادة مع الحزن في حياة الإنسان . . سعادة بالحلم وحزن
لأن الحلم تأخر بعض الوقت فسافر من سافر وبقي من بقي . .
لقد كان الزمان كريماً وبخيلاً في وقت واحد . . كان كريماً حينما
حقق الحلم . . وكان بخيلاً حينما حرمننا سعادة أن نلقاه معاً . .
تذكرتك رغم أن المسافات بيننا تبدو طويلة وبعيدة . . وأن
السدود التي فرقتنا أصبحت أكبر كثيراً من كل محاولات التذكار . .
وأن الثلوج التي تراكمت حولنا أعنف كثيراً من حرارة مشاعرنا .
ولكنني عدت أذكرك . في ساعة حلم . . حلم حققته من غيرك
فجاء حلماً جريحاً . . في وجهه حزن عميق . . وفي عينيه بقايا
دموع . . وعلى شفثيه ابتسامة غاربة . .
لقد جاء الحلم حزينا . .

زمن الأعمار القصيرة

أحزن كلما ودعت عاماً من عمري . .
ولعل ذلك ما يجعل الناس تطفئ الشموع ولا توقدها في أعياد
ميلادها . .
ومعنى ذلك أننا ونحن نحتفل بأعياد ميلادنا نشعر في داخلنا أننا
نلقى أعوامنا في ظلام سحيق لا عودة منه أبداً . .
يستطيع الإنسان أن يسترد ما له إذا خسر في بورصة الأوراق
المالية .
يستطيع أن يغير عمله . . وبيته . . ووطنه . .
ولكنه لا يستطيع أن يضيء شمعة واحدة أطفأها وهو يودع عاماً
من عمره ليلة عيد ميلاده . .
لا أملك أن أسترد الأمس ولو دفعت فيه أموال الدنيا كلها . .
لا أستطيع أن أعيد يوماً واحداً سقط مني ومضى ولو حملت كل
معجزات العلم والحضارة والتكنولوجيا . . أستطيع أن أراه في شريط

فديدي . . وإن أعيشه مع شريط كاسيت . . ولكننى لا أستطيع أن
أسترد لحظة واحدة عبرت من عمرى . .

لذا أحزن فى أعياد ميلادى . . وأرفض أن أحتفل بها . . لأننا
لا ينبغي أن نحتفل بلحظات الوداع تكفيننا أحزاننا فيها . .

ولا أدري لماذا تغير طعم الزمن . . وأصبحت دوراته أسرع مما
كانت . . اليوم نحتفل برحيل عام ولا يمضى وقت طويل حتى نرى
رفاقه وهم يتسابقون خلفه عاماً بعد عام . .

وتقرأ شهادة ميلادك وتشعر بحزن شديد وأنت ترى الأرقام كأنها
عداد تاكسى « مزور » وربما تسأل نفسك أحياناً هل مضت كل هذه
الأعوام . .

تجد نفسك فى العمل وقد مضى عليك ثلاثون عاماً . . وفى
الزواج ربع قرن . . وأطفالك الصغار أصبحوا رجالاً . . تزوج من
تزوج . . وهاجر من هاجر . . وجافاك من جافاك . .

تجد الشعيرات البيض وهى تتسلل واحدة بعد أخرى .

ومن كان بالأمس ضيفاً أصبح اليوم مقيماً . . فالشعيرات البيض
وكما قال أستاذنا العقاد - تخفين فى السواد حيناً . . ثم دارت الأيام
وتخفت الشعيرات السود فى البياض أحياناً .

وتراجعت كل الأشياء . . وأصبح الإنسان أكثر حرصاً على
السنوات الباقية . .

وخلف هذا كله يتساقط رصيد الأحلام حتى يأتى وقت نقترض فيه على الكشوف ولا نجد أحداً يقرضنا .

ومن أجل هذا شعرت بحزن شديد وأنا احتفل بعيد ميلادى فى صمت شديد . . شعرت أن الزمن سرقنا . . وأخذ أجمل سنوات عمرنا . أحسست أن السعادة ليست عملاً خاصاً أو عملاً فردياً . . ما قيمة القصور وحولك « خرابة » ؟ ما قيمة الأرصدة فى البنوك وأمامك الناس جوعى . .

إن الذين يتصورون أن السعادة ممكنة بعيدة عن الآخرين واهمون . . إننا سعداء بمن حولنا . . وأغنياء بمن نعيش بينهم . . شعرت وأنا أودع عاماً أن أعواماً كثيرة سقطت . . وأن الحياة دخلت بنا مرحلة حرجة من الزمن . . أقل ما يقال عنها أن الإنسان لن يعيش كما عاش لأننا نعيش زمن الأعمار القصيرة .

إن الإنسان يحزن أحياناً وهو يودع أعوامه وليس هذا تشاؤماً ولكنه حب الحياة . . ويقدر ما نحب الأشياء بقدر ما نحزن عليها . . إننى أحب الحياة ولذلك أحزن كلما ودعت يوماً واحداً فيها . فما بالك والسنين تتناثر بين أيدينا كقطرات الماء ثم تتسرب منا شيئاً فشيئاً



عندما ترجع العصفير

دعينا الآن من أحزاننا . .

الأشجار الصفراء الحزينة سيجيء الربيع ويعيد أوراقها ورقة . .
بعد ورقة . . سوف تعود مرة أخرى تسامرنا . . ونسامرها . . وتخفف
حرارة الأيام التي تحرقنا . . نتجمع تحت ظلالها كالطيور المهاجرة

نحن الطيور المهاجرة التي أرهقها طول السفر . . فلم تعرف لها
وطناً ولا عشاً ولا هوية . .

نحن الطيور التي دفعت بها رياح الأيام إلى بلاد بعيدة . .
كسرت بعض أجنحتها . . بعثرت الكثير من ريشها . . تركت الأيام
ظلالاً كثيرة على ملامحها . . بددت أحلامها الصغيرة . .

ورغم هذا ما زالت الطيور تغنى . . وتعيش . . وتحلم . .
ما زالت الطيور رغم جراحات الأيام تنتظر ذلك الربيع المسافر

البعيد . . ربما يعود يوماً وتعود الطيور إلى أعشاشها لكي تغنى من جديد . . صدقنى ما أسرع ما تتغير الأيام . .

الحريف . . الحريف الصامت سوف يصير ربيعاً مشرقاً وادعاً جميلاً . الحزن الذى يكبل كل شىء فى أعماقنا سوف يصبح فرحة كبيرة لا تنتهى ولا تغيب . .

صدقنى إن للأيام رحىلا . . ومحيئاً . . وللأحزان ظلالاً وللفرحة نشوة . . والعمر كل هذه الأشياء . .

إننا فى أحزاننا ندرك كم هى جميلة وعظيمة لحظة السعادة . . حينما تتساقط منا بعض الأحلام تنبت من بقاياها أحلام أخرى أجمل وأعظم وأروع .

نتصور أحياناً أن ماضينا هو أجل أيام عمرنا . . وهو التذكريات التى جمعناها لكي نعيش عليها . . ثم ندرك بعد ذلك أن الغد جاء على غير ما توقعنا . . لقد جاء أكثر جمالاً من كل رصيد ذكرياتنا .

كم تصورنا أن حبنا الأول هو الحب الذى لن يموت . . ثم بعد ذلك نراه وقد أصبح ذكرى عابرة وخيلاً زارناً ذات يوم ومضى .

لن يكون الماضى أجل أيامنا . . سوف يكون الغد أجمل منه كثيراً . . ولن تكون أحلامنا فى الأمس هى كل ما كان عندنا . سوف نغرس فى صحراء أيامنا أحلاماً أخرى أكثر شباباً .

المهم . . ألا نترك الأيام تنسج خيوط الياس والحزن والألم
حولنا . . لا تتصورى أن ما عشناه شيئاً مضى ولن يعود . . سوف
نعيش الغد كما عشنا أمس وربما أجمل . .

حزينة أنت . . أعرف كم أنت حزينة وأنا مثلك أكثر حزناً . .
لكن الأيام علمتني أن أجمل ما فيها أمل نغرسه وفرحة ننتظرها ولقاء
نسافر من أجله آلاف الأميال . .

أعرف كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك حزين . .

لكن الأيام علمتني أن الشمس مهما غابت لا بد أن تعود مرة
أخرى . . وأن الحريف مهما حل للأشجار أحزاناً سوف تعود فرحتها
مع كل ربيع قادم . . إننا نستطيع أن نبني فوق الانقراض قصوراً . .
وفوق الصحراء واحات جميلة . .

أعرف كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك حزين . .

لكن الأمل هو الشرارة التي نستطيع أن ننضئ منها ظلام أيامنا
وحزن ليالينا ونعيد الابتسامة إلى كل شيء حولنا .

إن الربيع القادم من بعيد يبشرني بأن حديقتنا الصغيرة الخالية
ستعود أزهارها كما كانت . . وأن العصافير التي هاجرت عنا بعض
الوقت سوف تعود مرة أخرى تغني لنا . .

مازلت أومن رغم المسافات البعيدة التي تركتنا بقايا أن الزمن

سوف يللم كل هذه الجراح . . وسوف تعود كل الأشياء الجميلة . .
تجمعنا مرة أخرى . . أعلم كم أنت حزينة . . وكم أنا مثلك
حزين . .
لكن دعينا نبتسم لأن ابتسامتنا ميلاد جديد . .



وماتوا من العشق

قالت : كل الأشياء تطاردنا . . أخاف حينما نلتقى . . أشعر
بالرعب حينما تتلامس أيدينا . . أصرخ في داخلي وأنا أحرق
في عيون الناس وهي تلتهم مشاعرنا . . كل ما حولنا يشعرونا
أننا على خطأ .

أجىء إليك وكلى شوق . . أجلس معك وكلى خوف . . أفارقك
وكلى حزن . . كيف أواجه كل هذا التناقض فى مشاعرى . .

قلت : أوافقك أننا نعيش زمان الخوف . . كل ما حولنا يرصدنا
ويفسد علينا كل لحظة سعيدة يمكن أن نعيشها . . المشكلة
أننا محاصرون رغم أن الأرض واسعة . . العالم ضيق
حولنا . . رغم أن هناك مساحات شاسعة من الأرض .

تقيدنا عادات وتقاليد واستثمارات وأوراق رسمية وغير رسمية . .
قميد أنفسنا بعشرات القيود . . وإذا حاولنا أن نحطم قيداً فإن الحب
هو القيد الوحيد الذى نسعى لتكسيه .

قالت : لا نملك غير ذلك ..

قلت : المشكلة فى رأيك الآن أننا نحب بعضنا بعضا .. ليست
المشكلة أن هناك قيوداً تحاصرنا .. السبب عندك هو
الحب .. وليست القيود ..

قالت : القيود لم تظهر إلا مع الحب .. فلم تكن عندى مشاعر
خوف قبلك .

قلت : إنك تخافين من الناس .. وأنا أخاف عليك .. تخافين
القيود .. وأنت قيدي ..

لقد أحببت كل القيود فى عينيك .. إن الحب هو القيد الوحيد
الذى نختاره .

قالت : لابد أن نفرق .. لم أعد أستطيع أن أتحمل مشاعر الخوف
أكثر من هذا .

قلت : قد أوافقك على أن نفرق لكنك بذلك تدمرين أجمل ما فى
حياتك وحياتى ..

قد نجد أشياء كثيرة فى الوقت المناسب .. قد نجد المال ..
والشهرة .. والمجد .. والنجاح فى الوقت المناسب .. ولكن الحب
لا يدرى لماذا لا يجرى فى الوقت المناسب .. من أجل هذا أشعر أننا
قد نفرق الآن ولكننى واثق أننى لن أحب أحداً كما أحببتك ..

قالت : أنت شاعر والمرأة عندك قصيدة .. مجرد قصيدة ..

قلت : والله هذا ظلم للشعر وللشعراء ، حينما يبكى الشعراء
لا يذرفون دموعاً ولكنهم ينزفون دماً .. وحينما يحزن
الشعراء لا تبكى عيونهم ولكن تبكى قلوبهم ..

وحينما يحب الشعراء تصبح الدنيا كلها في عيون من أحبوا ..
لأنهم لا يحبون كثيراً كما يتصور الناس .. ولكنهم يشعرون بأشياء ربما
لا يشعر بها الناس ..

قالت : ما الفرق بينهم وبين الناس ..

قلت : هو الفرق بين شعورى وشعورك الآن .. تريد أن نفرق
قد يكون ذلك مجرد لحظة حزن قصيرة يعيشها قلبك ..
ولكننى أشعر أن قلبى ينزف داخل لمجرد فكرة طرأت
عليك .. أجلس أمامك الآن وأنا أتخيل غداً من غيرك
أشعر أنه شيء مظلم كئيب .. أتخيل عيني بدون بريق
عينيك .. أتخيل شعري بلا صوتك .. أتخيل أيامي بعيداً
عنك .. كل هذا يدور في رأسى كأنك بعدت عني ..
أشعر أن العالم ينتهى .. وأن الكرة الأرضية قد تغيرت
مكوناتها وملاحظها .. هناك بركان يتفجر داخل الآن ..

قالت : أنت تبالغ فى كلامك .. كما تبالغ فى شعرك ..

قلت : أشعر أننى بالغت فى شيء واحد . لقد بالغت فى حبي

قالت : وأنا أحبيتك ..

قلت : كل العشاق قالوا أحببنا .. ولكن هناك فرق بين عاشق مات بحبه وآخر نسيه في أول محطة قطار .

قالت : أنت تتحدث عن أشياء لا وجود لها .. سوف تنساني غداً ..

قلت : ما قيمة أن أقول لك أنني سوف أذكرك إذا كنا سنفترق الآن .

قالت : لن أنسى أنني أحبيتك يوماً ..

قلت : ولن أنسى أنني كرهتك يوماً ..

قالت : متى كرهتني .. ؟

قلت : الآن ...



أجمل الأشياء

سألتنى : ما أسوأ الأزمنة . . ؟

قلت : زمن تختلط فيه أقدار الناس . . يصبح الصغير كبيراً ويصبح
الكبير صغيراً . . ويغدو فيه الجاهل عالماً . . ويصبح العالم
جاهلاً . . ويموت فيه أصحاب المواهب . . ويقفز على
قمة الجهلاء . .

سألتنى : وأسوأ الأوطان . . ؟

قلت : وطن يعطيه الإنسان عمراً ويبخل عليه بساعة صفاء . .

سألتنى : وأسوأ المشاعر . . ؟

قلت : أن يصبح مصيرى فى يد لا تعرف قدرى وأن أنام خائفاً من
أمسى ومنزعجاً من يومى . . ومتحسراً على غدى . .

قالت : وأسوأ الشعوب . . ؟

قلت : شعوب تمسك بها النيران من كل جانب ولا تحاول حتى أن
تصرخ .. وتحيط بها النكبات من كل مكان .. ولا تحاول
حتى أن ترفض .. ويحكمها الشر وترضى .. ويسود فيها
الصغار وترضخ .. ويذبح الشرفاء فيها كل يوم ..
وتضحك ..

قالت : وأسوأ العقول .. ؟

قلت : عقل يرفض كل شيء .. أو يقبل كل شيء .. يذكرني
بمحطات القطارات ، باب للدخول وآخر للخروج ..
ولا يبقى فيها أحد ..

قالت : وأسوأ الرجال .. ؟

قلت : رجل أكل على كل الموائد ولم يشبع .. ولم يرفض طعاماً
ولا مكاناً حتى ولو أطعموه من صناديق القمامة ..

قالت : وأسوأ النساء .. ؟

قلت : امرأة باعت نفسها لكل شيطان ..

قالت : وأسوأ الأيام .. ؟

قلت : يوم أعطى الإنسان فيه نفسه ولم يدرك أنه كان مجرد
صفقة ..

قالت : وأسوأ الذكريات .. ؟

قلت : إنسان أحبيته ولا أتمنى أن أراه .

قالت : ما أجل الأزمنة .. ؟

قلت : زمان يعرف قدرى .. ينصفنى إذا أعطيت .. يعاقبنى إذا
أخطأت .. لا مكان فيه لحاقد أو مزيف أو دجال .

قالت : وأجل الأوطان .. ؟

قلت : وطن يعطينى بقدر عطائى .. ولا يخذلنى فى حبى .

قالت : وأجل المشاعر .. ؟

قلت : لحظة أتمنى أن أعيشها ألف مرة ولا أشبع .

قالت : وأعظم الشعوب .. ؟

قلت : شعوب تصنع العدل بالحكمة .. وتقوم الحكام بالعدل ..
وتطفئ النيران قبل أن تكبر .. وترفع كبارها .. وتعالى
شرفاءها ..

قالت : وأفضل العقول .. ؟

قلت : عقل لا يمل البحث عن الحقيقة ..

قالت : وأفضل القلوب .. ؟

قلت : قلب لا يغيب عنه الصدق ..

قالت : وأسوأ الرجال .. ؟

قلت : الرجل حينما يدمن الجبن .

قالت : وأسوأ النساء . . ؟

قلت : المرأة حينما تدمن الرذيلة . .

قالت : وأسوأ الأيام . . ؟ . .

قلت : يوم لا أحب أن أذكره . .

قالت : وأجمل الذكريات . . ؟

قلت : يوم لا أنساه . .

مؤلفات الشاعر

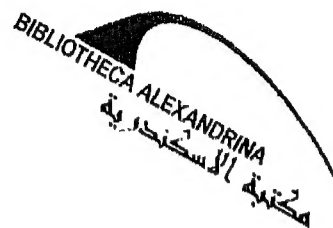
فاروق جوييدة

- * أوراق من حديقة أكتوبر « ديوان شعر »
- * حبيبتي لا ترحلى « ديوان شعر »
- * وبقى الحبيب « ديوان شعر »
- * أموال مصر كيف ضاعت « إقتصاد »
- * وللأشواق عودة « ديوان شعر »
- * في عينيك عنواني « ديوان شعر »
- * دائماً أنت بقلبي .. « ديوان شعر »
- * لأنى أحبك - « ديوان شعر »
- * شىء سيقى بيننا « ديوان شعر »
- * طواعنى قلبى فى النسيان « ديوان شعر »
- * لن أبيع العمر « ديوان شعر »
- * زمان القهر علمنى « ديوان شعر »
- * الوزير العاشق « مسرحية شعرية »
- * دماء على ستار الكعبة « مسرحية شعرية »
- * الأعمال الكاملة « فاروق جوييدة »
- * الوزير العاشق بالانجليزية ترجمة د. محمد عنانى
- * بلاد السحر والخيال « أدب رحلات »
- * قالت ...

الفهرس

الموضوع	الصفحة
دموع الكلمات	٥
الحب الطازج	١١
على غير انتظار	١٥
آه يا زمن المهانة	١٩
وتهون الأرض إلا موضعا	٢٥
محطة بلا قطار	٢٩
هل مات حبنا ؟	٣٥
حينما يصبح الشرف غريبا	٣٩
عودة المتمرّد القديم	٤٣
زمن قصير القامة	٤٧
ماذا أعلم ابني ؟	٥١
لا أصدق نفسي	٥٥
ذات ليلة	٥٩
لا تشتربلها	٦٣

الموضوع	الصفحة
ورحل الربيع غاضبا	٦٧
حلم بدون رصيد	٧١
سأواجه قدرى بدون عينك	٧٥
نحن والشتاء	٧٩
على غير موعد	٨٣
البحث عن المستحيل	٨٩
سخرية القدر	٩٣
مع العام الجديد دعونا نحلم	٩٧
الحب والاختيار	١٠٣
زمن الأحلام الفقيرة	١٠٧
هل تجمعنا الأيام ؟	١١٣
لماذا كل هذه الأحزان ؟	١١٧
حساب العمر	١٢١
العاقل من يختار	١٢٧
ماذا نريد من الحياة	١٣١
أيام ثقيلة	١٣٥
وجاء الحلم حزينا	١٣٩
زمن الأعمال القصيرة	١٤٣
عندما ترجع العصفير	١٤٧
وماتوا من العشق	١٥١
أجمل الأشياء	١٥٧



رقم الإيداع ١٠٠٥٢ / ١٩٩١

I. S. B. N 977-215-056-5



لكن الأيام علمتني أن الشمس مهما غابت لا بد أن تعود مرة
أخرى .. وأن الخريف مهما حمل للأشجار أحزاناً سوف تعود فرحتها
مع كل ربيع قادم .. إننا نستطيع أن نبني فوق الانقراض قصوراً ..
وفوق الصحراء واحات جميلة ..

أعرف كم أنت حزينة .. وكم أنا مثلك حزين ..
لكن الأمل هو الشرارة التي نستطيع أن ننضئ منها ظلام أيامنا
وحزن ليالينا ونعيد الابتسامة إلى كل شيء حولنا .

إن الربيع القادم من بعيد ييشرنى بأن حديقتنا الصغيرة الخالية
ستعود أزهارها كما كانت .. وأن العصافير التي هاجرت عنا بعض
الوقت سوف تعود مرة أخرى تغنى لنا ..

الشمس ٣٠٠ قرشاً